روائع المسرح العالمى

٢٦

الأستاذ كاليشو

تأليف مدام كارين براسون

ترجمة صلاح الدين كامل

مراجعة يحيى حقى

تقديم الدكتور محمد مندور

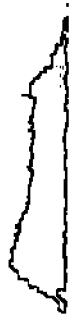

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مقدمة

الأستاذ كلينوف
بين الواقعية والطبيعية
بقلم
دكتور محمد مندور

ليست مسرحية « الأستاذ كلينوف » للكاتبة الدانمركية المعاصرة « كارين برامسون » بجديدة كل الجدة على عالمنا العربى، فلقد سبق أن لخصها الدكتور طه حسين فى جريدة « السياسة الأسبوعية » ثم نشر تلخيصه فى كتابه « قصص تمثيلية لجماعة من اشهر الكتاب الفرنسيين » الذى نشره لأول مرة سنة ١٩٢٤ كما سبق أن ترجمها الى العربية المرحوم الأستاذ احمد يوسف وقدمها الى الفرقة القومية التى قامت بتمثيلها فى سنة ١٩٤١ وقام ممثلنا الكبير المثقف المرحوم « منسى فهمى » فيها بدور الأستاذ كلينوف بطل المسرحية ، كما قامت السيدة « روحية خالد » بدور « اليز » وقام الأستاذ أحمد علام بدور « فيدل » كما قام الأستاذ فؤاد شفيق بدور « فورسبرج » ، ولكننى احسب أن هذه هى اول مرة تقدم فيها هذه المسرحية الى قراء العربية فى ترجمة دقيقة اقرب ما تكون الى نصها الفرنسى الذى نشرته لأول مرة مجلة « لابيت السترسيون » سنة ١٩٢٣

عندما مثلها مسرح « الأوديون » بباريس ، وقامت مؤلفتها الكاتبة الدانمركية « كارين برامسون » بترجمتها بنفسها من اللغة الدانمركية الى اللغة الفرنسية كما انتدب أحد كبار الممثلين الدانمركيين العاملين عندئذ بالمسرح الملكى بكوبنهاجن للاشتراك فى تمثيلها مع كبار الممثلين الفرنسيين .

ومن المقدمة التى كتبتها مجلة « لابتيت الاستراسيون » لمسرحية « الأستاذ كلينوف » نتبين أنها قد لقيت عندما مثلته بباريس فى سنة ١٩٢٣ نجاحا كبيرا ، ويحدثنا الدكتور طه حسين أيضا عن الاستقبال الحماسى الذى استقبلت به هذه المسرحية من النقاد الفرنسيين عندما عرضت بباريس ، وبمراجعة قوائم دور النشر الفرنسية ، وبعض التعريفات التى تنشرها نعرف أن المؤلفة « كارين برامسون » الدانمركية الأصل قد اقامت فى فرنسا زمنا طويلا كما أتقنت اللغة الفرنسية ، وكتبت بها احدى مسرحياتها ، وهى مسرحية « الخصوم » كما ترجمت لها عدة مجموعات من المسرحيات الى الفرنسية ، وقامت بنشرها دار النشر المعروفة بباريس باسم « فلاماريون » التى قسمت هذه المجموعات بحسب موضوعاتها الى اربع ، واحدة عن المال ، وثانية عن الحب ، وثالثة عن الايمان ، ورابعة عن الكراهية مما يوحى بأن « كارين برامسون » كانت أديبة كبيرة غزيرة الانتاج ولكننا مع ذلك دهشنا أكبر الدهشة عندما عدنا الى الموسوعات ومراجع الآداب العالمية بما فيها الأدب الدانمركى المعاصر ، فلم نجد فيها ذكرى لهذه الكاتبة ولا لمؤلفاتها وتاريخ حياتها حتى رأيتنى التمس

بعض المذر لمن كانوا يصدرون روايات الجيب عنـــدما رأينهم يصفون كارين برامسون بأنها كاتبة بلجيكية ، عنـــدما نشروا مضمون مسرحية الأستاذ كلينوف فى صورة قصة كتبوا تحتها « مأساة عصرية عنيفة لكارين برامسون المؤلفة البلجيكية » مع أنه من الثابت الذى لا يتطرق اليه اى شك انها دانمركية وان كنا لسوء الحظ لم نستطع أن نعثر لها على تاريخ حياة ، ومع ذلك فقد نشرت مجلة « لابتيت الاستراسيون » مع مسرحية الأستاذ كلينوف صورة للمؤلفة نحس منها انها كانت فى حوالى الأربعين من عمرها عندما نشرت لها تلك المسرحية العاتية .

ومسرحية « الأستاذ كلينوف » نصفها بانهـــا عاتية رغم بساطة أحداثها ، فهى ليست عاتية بأحـــداثها ، ولكن بحوارها وما يتصارع داخل هذا الحوار من حقائق نفسية بالغة الشدة والعنف حتى لكأنها تجمع بين جميع المشاعر والنزعات الشريرة التى جمعها الكتاب « الواقعيون » والكتاب « الطبيعيون » خلال القرن التاسع عشر كله .

فالمسرحية يمكن تلخيص أحداثها فى أن رجلا دنيئا شريرا اسمه « فورسبرج » كان يملك حانا لبيع الخمور ، وتدهورت حالته المالية فلم ير وسيلة لانعاشها غير الاتجار بعرض ابنتـــه الجميلة الوديعة « اليز » وهى فى الثانية والعشرين من عمرها حتى ضاقت الفتاة بهذه الحياة القبيحة الدنســـة ، وهمت بالانتحـــار ، ولكنها رهبت الموت ، وهى على حافة الماء الذى

اعتزمت أن تلقى بنفسها فيه ، وتصـــادف أن مر بها فى تلك اللحظة ، وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل « الأســـتاذ كلينوف » وهو أستاذ للفلسفة بالجامعة دميم الخلقـــة ، بل مشوهها ، أعمش العينين ، ومهدد بالعمى ، فنفرت منه أول الأمر، ولكن غريزة حب الحياة لم تلبث أن تغلبت على اشمئزازها منه ، فقبلت أن تعدل عن الموت وان تصحبه الى بيته حيث آواها ، واستخدمها فى القراءة والكتابة له وكان « كلينوف » يظهر فى كتبه الفلسفية ، وفى محاضراته الجامعية كراهيته الشـــديدة للجنس البشرى ، وسخطه عليه كله وبخاصه المرأة كما كان يظهر تمرده على الله نفسه ، ولكن كل ذلك لم يكن نتيجة لنظر فلسفى سليم ؛ بل كان انعكاسا لحقده على البشر ، وسخطه على الله الذى منح غيره من الناس الصحة والجمال والســـلامة بينما رزأه بالدمامه والقبح والمرض ، ولا ادل على ذلك من أنه لم يكد يتحقق من جمال « اليز » ورقة مشاعرها وصفاء روحها حتى أحبها حبا شديدا مسرف الانانية حتى لتراه يغار غيرة شديدة من شاب نحات صديق له هو الشاب « فيديل » الذى تعرف باليز أثناء تردده على بيت الأستاذ كلينوف وعرف قصتها فأحبها ورغب فى الزواج منها ، غير متوهم أن كلينوف يحب « اليز » كل هذا الحب مما اضطر كلينوف الى ان يبوح بهـذا الحب وان يطرد فيديل من منزله ، وهنا تفن عبقرية الشر عند كلينوف ، فيحتال للاستحواذ على اليز بطـــرق جهنمية ، فبالرغـم من أن اليز فى الثانية والعشرين من عمرها ، أى بالرغم من انها قد وصلت

الى السن الذى لم يعد معها لأبيها الفاسد عليها ولاية يستطيع بفضلها أن يسترد ابنته كرها ، ويرغمها على البقاء فى بيتـــه ليستغلها الاستغلال الدنىء الذى فضلت معه الموت على الحياة ، الا أن كلينوف يوهم الفتاة عندما لاحقها أبوها يوما فى الطريق حتى عرف ابن تقيم ، واقحم عليها بيت كلينوف بأن هذا الاب الفاسد قد يستخدم حقه القانونى فى استردادها ، ويخبرها ، بأنه لا سبيل الى نجاتها من أبيها الذى تخشاه وتبغضه أشد البغض الا بأن تتزوجه ، وتحاول الفتاة أن تتخلص من هـــذا العرض فى لطف مدعية أنها ليست كفءا لمثل هذا الزواج ولكن كلينوف لا يزال يستخدم مكره الخبيث حتى يضـــطرها الى القبول ، وفعلا يعقد زواجه بها ، ثم يرحل معها فى رحلة تدوم أكثر من شهرين والفتاة لا تكاد تطيق ملمسه وليس بينها وبينه اية علاقة غير الشفقة التى تستشعرها نحوه ، والحقد والقسوة اللذين يستشعرهما نحوها بل ونحو جميع البشر فضـــلا عن مشاهد الطبيعة ذاتها التى يثيره اى حب او اعجـــاب تظهره « اليز » نحوها مما جعل حياتها معه أقسى من الجحيم حتى فكرت فى النهاية أن تكتب الى « فيديل » لتحدثه عما كان وعن مكان وجودها مع الأستاذ كلينوف ، واذا بفيديل يخف للسفر الى حيث تقيم وينتظر فرصة خروج كلينوف من الفندق للنزهة لكى يدلف الى « اليز » حيث يدور بينهما حوار ينتهى بطلب فيديل اليها أن تفر معه ، ولكن ضعف الشفقة يتغلب عليها مرة أخرى فتأبى الفرار بغير علم كلينوف واستئذانه ، وتعده على أن تلحق به

عند محطة القطار بعد قليل ، ويعود كلينوف من نزهته فتخبره بكل ما حدث وتطلب اليه حريتها فيجيبها متضرعا حينا وساخرا قاسيا متوحشا حينا آخر بانه لا يعارض فى منحها حريتها ولكنه يود أن تنتظر قليلا حتى تسبح ارملة كلينوف بحكم انه لن يستمر فى الحياة بعد أن يصيبه العمى الذى لن يطول انتظـــاره له ثم يخبرها فى النهاية أنه باستطاعته أن يعجل هذا الوضع اذا اصرت على الرحيل فورا وذلك بأن يقتل نفسه دون أن ينتظر العمى ، وهنا تتقلب الشفقة على الفتاة فتقرر البقاء معه مكرهة .

وفى الفصل الثالث والأخير ترتفع الستار عن مكتب كلينوف فى منزله وقد أصابه العمى وعلم من خادمته القديمة « مارى » ان « اليز » تكتب الخطابات « لفيديل » فيشتاط غيظا ويزداد شرا وقسوة ويأتى فيديل مرة أخرى ويجدد دعوته لاليز للفرار معه ولكنها لا تستطيع رغم الجحيم الذى تعيش فيه أن تفلت من ضعف الشفقة على الأستاذ كلينوف وبخاصة بعد ان اصيب بالعمى ويخرج فيديل ليدخل كلينوف عائدا من الجامعة حيث يكون حوار جديد بينه وبين اليز حول وضعهما ورغبـــة اليز فى استرداد حريتها ولكن كلينوف يعود الى التهديد بالانتحـــار ويخرج فعلا مسدسا من مكتبه غير أن اليز تأخذه منه وتنتبى المسرحية بأن تطلقه هى على نفسها والأستاذ كلينوف ينحنى على جثتها قائلا لقد ضحى الجمال بنفسه من أجلى ، أيها القـــدر قد عفوت عنك .

الواقعية والطبيعية

لقد لخصت فى شىء من التفصيل هذه المسرحيه لكى نستفيد بالتحليص فى اظهار القسمات التى توضح تاثر الكاتبة بالمذهبين الواقعى والطبيعى على النحو الذى جعل المسرحية من النوع البالغ التشاؤم ، فالمذهبان كما هو معلوم من المذاهب المتشائمة فى الأدب الغربى ، اى المذاهب التى تؤمن بغلبة الشر على الخير فى حياة البشر أفرادا وجماعات وان اختلف كل من المذهبين فى مصدر هذا الشر ، فالواقعيون يرون أن معظم الشر نابع من فساد الأوضاع الاجتماعية ، ذلك الفساد الذى يحمل فورسبورج والد اليز فى هذه المسرحية على أن يتاجر بعرض ابنته لترويج تجارة الخمور التى يزاولها فى مخمره ، ويحاول التنصل من اثمه بدعوى خيانة زوجته له من جهة وسوء تدبير ابيه المالى من جهة اخرى وهذا الفساد الاجتماعى هو الذى يضع اليز بين شقى الرحى ، فاما أن تستسلم للزواج من الأستاذ كلينوف كارهه مشمئزة ، واما أن تعيش خائفة مرتعدة من شبح العودة الى بيت ابيها باسم القانون وباسم الولاية الأبوية مضحية بنفسها وبحقها فى السعادة البشرية التى لا ينبغى أن يحرم منها انسان فى مجتمع سليم ، فهذه المفاسد والشرور الناتجة عن فساد الأوضاع الاجتماعية هى التى يسعى كتاب المذهب الواقعى المتشائم الى البحث والكشف عنها دائما معتقدين انها مصدر نكبات البشر فى الحياة . وذلك بينما نرى المذهب الطبيعى الذى ظهر فى أعقاب المذهب الواقعى فى القرن التاسع عشر والذى يعتبر امتدادا له

فى النظرة المتشائمة الى الحياة ولكنه يختلف عن المذهب الواقعى فى انه يرى مصدر الشر فى طبيعة الانسان العضوية ، وخلقته الفطرية وعلى أساس هذا المذهب ووفقا لمعتقداته التى حللها اميل زولا فى كتابه النقدى عن « القصة التجريبية » صورت المؤلفة فى تصويرها الدرامى المخيف لشخصية الأستاذ كلينوف الذى تفسر سلوكه العلمى والانسانى على السواء بحقائق خلقته العضوية ، فهو ساخط فى فلسفته على البشر بل وعلى الله ذاته لانه خلق دميما دمامة تحرمه من متع الحياة كلها وبخاصة متعة الحب ، مما يحمله على الحقد على غيره من البشر الأصحاء السويين الخلقة كما يحمله على التمرد على القدر أى على الله ، الذى خلقه دميما أعمش مهددا بالعمى الذى لا سبيل الى الافلات منه . وهو قد يكون رجلا ذكيا واسع الثقافة والحيلة ولكن دمامة خلقته ومرضه يطيحان بضميره العلمى بحيث ينطبق عليه قول احد الحكماء « علم بلا ضمير خراب للنفس » وهذا حق . فالأستاذ كلينوف رغم علمه واستاذيته شيطان رجيم غليظ الحس قاسى النفس سوداوى الأنانية لا تزيده شفقة اليز به الا قسوة وضراوة حتى لتلوح لنا شفقتها به ضربا من الضعف ان لم نقل الرذيلة ، اراء أنانيته المسرفة وقسوته التى لا تعرف رحمة ولا انسانيه وتنعكس حقائق حياته المرعبة على فلسفته فنراه يقول فى احدى محاضراته التى نقرأ بعضها فى المسرحية مكتوبة بخط اليز « ان غرور الانسان فى تصوره أنه هو نفسه المسيطر على أفعاله ــ هذا الغرور السخيف هو ما يقلق النفس البشرية ،

ويفسد منطق قوانيننا الاجتماعية . ان تركيب مخ الانسان ، وتركيب المخ فقط ، هو ما يسير دفة أفعالنا . بنـــاء على ذلك لا يوجد شيء اسمه جريمة . فكرة العقاب خطأ من أساسها . لماذا لا يعاقب الرجل لانه ذو شعر اسود او أشقر ؟ العنكبوت الذى يمتص دم بعوضة لا يرتكب ثمة جريمة ... كل ذلك من نظم الطبيعة ... » .

فتقاطعه اليز قائلة : « محاضرة شديدة الخطر على صغار الطلبة ، فيما يبـــدو لى » فيجيبها كلينوف متسائلا : « اى خطر ؟ ... ما دامت أفعالنا تقررها من قبل طبيعتنا ؟ .. ان كلا منا يتبع طريقه ... كذلك من ينعتونهم بالمجرمين » فتفكر اليز قائلة « قد يكون هذا حقا ، ومع ذلك ... فمن يسيء الى غيره ولا دافع له فى ذلك سوى الأنانية ، لا يجب أن يكون له هذا العذر » . ولكن كلينوف يعترض قائلا « ولم لا ؟ .. قد يكون لهؤلاء طبيعة أقوى ، ارادة أكثر صلابة ، شهوات اشد عنفا من الآخرين ... ومن ثم يكون لهم حق أسمى » .

وواضح من هذه الفقرات ان الاستاذ كلينوف يؤمن بالمذهب الطبيعى فى تفسير سلوك الانسان بل وتبريره قدر ايمان كارين برامسون كاتبة المسرحية التى تفسر كل ما فى نفس الأستاذ كلينوف من شر وبشاعة بحقائقه الجسمية ككائن عضوى على نحو ما كان يرى اميل زولا ومدرسته بعد أن تخطوا بلزاك ومدرسته الواقعية فى البحث عن الشر ومصدره وانتقلوا بهذا البحث من مجال الحياة الاجتماعية الى مجال البحث العلمى

فى الأعضاء الجسدية ووظائفها وحاجاتها وطبيعة خلقتها وراوا فيها القوة المسيطرة على السلوك البشرى كله والقادرة على تفسير ما فى هذا السلوك من شر والكشف عن مصدره بعد أن تقدم البحث العلمى فى علوم الحياة ووظائف الأعضاء . وبعد ان وضع الطبيب العالم الفرنسى الشهير كلود برنار كتابه الخطير المسمى « مقدمة لعلم الطب التجريبى » .

البنـــاء الفنى

كل هذا عن مضمون هذه المسرحية القوية المرعبة التى وان طغى فيها الشر على الخير طغيانا ساحقا ــ الا انه لا يستأثر مع ذلك باحساسنا كله ونفورنا منه ؛ فنحن رغم اشمئزازنا من سلوك الاستاذ كلينوف وقسوته المخيفة ــ الا اننا مع ذلك لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الرثاء له أحيانا باعتبار انه لاحيلة له فى مصدر الشر الذى ابتلى به وهو دمامة الخلقة وسوء التكوين العضوى ، ثم المرض الذى يهدده بالعمى المحقق ، وكلها ضربات من القضاء والقدر الذى لا يرحم ولا نعرف له تفسيرا فهو الآخر ضحية لهذا القدر المنحوس وان كنا لا نستطيع تبرير أنانيته المسرفة وقسوته المتوحشة وذكائه الشرير ازاء المسكينة اليز التى لا دخل لها فى نكبته والتى تشفق عليه وتحاول جاهدة أن تسرى عن كربه ومع ذلك يطالبها بما لا قبل لها به من التضحية الكاملة بنفسها فى سبيلة راضية أم كارهة .

ومع ذلك فانه من المؤكد أن هذه الكاتبة تعرف صنعتها على خير وجه . بل لقد استفادت من تلك الصنعة أكبر الاســـتفادة

وأروعها فى بناء مسرحيتها بناء دراسيا متقنا يدنو بها من الطراز الكلاسيكى المتين .

ففى الفصـــل الأول تعرض لنا المؤلفـــة عناصر الدراما وشخصياتها وعلاقة كل شخصية بأخرى على نحو دقيق محكم يجمع بين أيدينا وتحت أبصارنا خطوط المأساة كلها اذ نخرج منه وقد علمنا بقصة اليز المحرنة وموقف الأســتاذ كلينوف وموقف ابيها وحبيبها فيديل منها وقد تهيأ الجو للصراع بين هذه الشخصيات كلها ، بل وانتهى هذا الصراع فى مرحلته الأولى مع انتهاء هذا الفصل الأول برضوخ اليز للأســتاذ كلينوف فى رغبته من الزواج منها ؛ وبذلك استطاعت المؤلفه أن تضغط فى الفصل الأول من مسرحيتها مرحلة العرض لعناصر الدراما وشخصياتها وخيوط الأزمة وبين المرحلة الأولى من الصراع الذى سيجرى فيها . وهاتان المرحلتـــان تستغرقان عادة فى المسرحية الكلاسيكية الفصل الأول المخصص للعرض والفصل الثانى المخصص للمرحلة الأولى من تطور الأحداث ، ومن الصراع الذى يجرى فيها ، وبذلك استطاعت المؤلفة أن تضغط مسرحيتها الى ثلاثة فصول بالغة القوة والتركيز بدلا من خمسة فصول كما تفعل المسرحية الكلاسيكية .

وفى الفصل الثانى انتقلت المؤلفة بالمسرحية الى مرحلة جديدة من مراحل تطورها ، وان لم تلتزم وحدة الزمان ولا وحدة المكان كما كان الكلاسيكيون يفعلون اذ نراها تنقل الأحداث الى فنـدق مسافر اليـــه كلينوف ، مع زوجته الاسمية اليز حيث تتطور

الأحداث بحضور فيديل الى الفندق ومحاولة اغرائه لاليز بالهرب معه ورفضها هذا الهرب شفقة بجيرار كلينوف رغم نار الجحيم التى تصلاها معه .

اذا انتقلنا الى الفصل الثالث أحسسنا بأنه قد مضى شهران على زواج كلينوف باليز وقد عدنا الى منزل كلينوف من جديد حيث تتجدد الأزمة بزيارة أخرى من فيديل تمهد السبيل للحل النهائى الذى ستسدل عليه الستار وهو انتحار اليز بعد أن ضاقت بها السبل ولم تجد مفرا من الجحيم الذى تصلى ناره غير الانتحار بطلقة رصاص من المسدس الذى اعده كلينوف لنفسه .

وهكذا يظهر ما فى البناء الفنى والتسلسل الدرامى فى هذه المسرحية من قوة واحكام تقربها من النمط الكلاسيكى رغم عدم تقيدها لا بوحدة زمان ولا بوحدة مكان ، وان تكن قد التزمت بوحدة الموضوع من مطلع المسرحية الى خاتمتها .

والمسرحية بعد ذلك دقيقة الحوار عميقته الى الحد الذى يكسبه من القوة والمهارة ما يكاد ينسينا عدم معقولية أحداث المسرحية او على الاقل خروجها عن مألوف الحياة بين البشر ، فما نظن عشيقا ينازع زوجا نزاعا صريحا ووجها لوجه كما يفعل فيديل مع الأستاذ كلينوف ، وانما يخترع الأدباء مثل هذه المواقف لابراز حقائق نفسية واخلاقية معينة على نحو ما يفعل برنارد شو فى مسرحيته كانديدا التى يجلس فيها الزوجة مع حبيبها وزوجها بناء على طلب الزوجة نفسها لكى يدلى كل منهما

أمامها وأمام الآخر بالحجج التى يمكن ان تستند اليها فى تفضيل احدهما على الآخر . ومع ذلك فمن المؤكد ان الموقف فى مسرحية الأستاذ كلينوف يبدو لنا اكثر دنوا من الممكن أكثر من الموقف فى مسرحية كانديدا لبرنارد شو ، فضلا عن ان المؤلفة كارين برامسون قد استطاعت بدقة حوارها وعمقه واحكامه وتسلسل الأحداث الجزئية فى مسرحيتها وقوة الربط بينها واحكام التسلسل السببى بينها ؛ استطاعت أن تنسينا ما يلوح فى مسرحيتها من افتعال وأن تنجح فى ايهامنا بان ما نقراه او نشاهده شيء محتمل الحدوث مشاكل للواقع حتى لنخشى مع الدكتور طه حسين فى تلخيصه لهذه المسرحية أن تكون هذه الكاتبة البارعة قد صورت واقعا انسانيا فعليا ونتمنى معه أن تكون مسرحيتها من عمل الخيال الخالص الذى لا وجود له فى واقع الحياة البشرية اشفاقا منا على أن يكون فى حياة البشر من الشر والقسوة والأنانية المسرفة المظلومة والظالمة معا مثل ما فى هذه المسرحية العنيفة التى نعود فنقول أنها تجمع بين معظم الشرور التى عمل المذهبان الواقعى والطبيعى على الكشف عنها خلال القرن التاسع عشر كله ابتداء من واقعية بلزاك فى أوائل ذلك القرن حتى طبيعية اميل زولا ومدرسته فى النصف الثانى منه ، فضلا عن استفادة المؤلفة بخير ما فى الكلاسيكية من أصول فنية لتركيز ما صورته من شرور النفس البشرية وتركيزها فى حوار درامى بالغ الذكاء والنفاذ والقوة .

محمد مندور

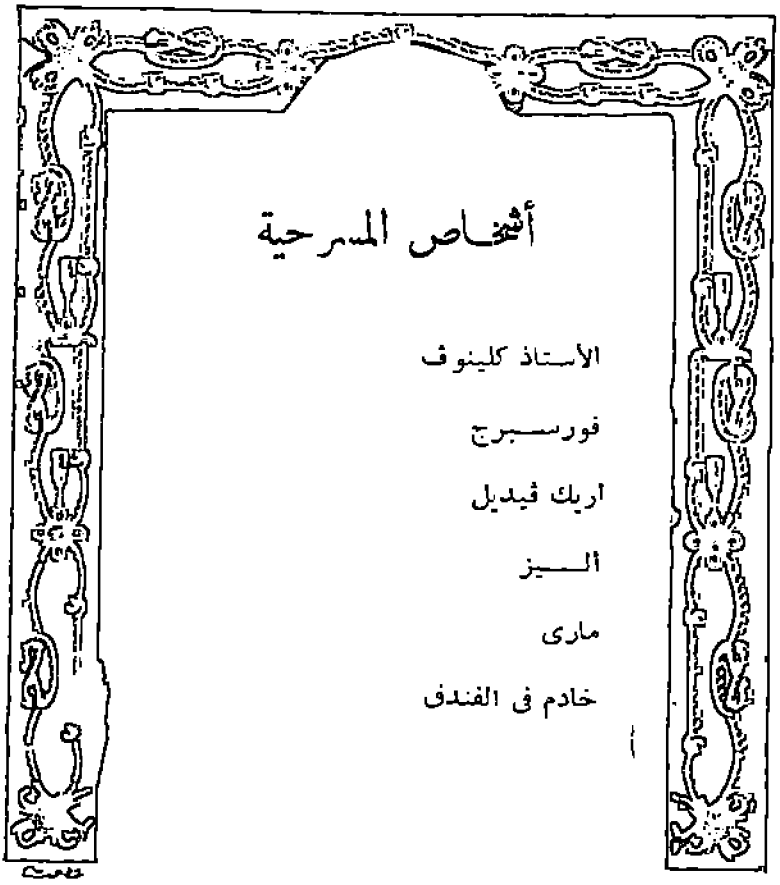

أشخاص المسرحية

الأستاذ كلينوف

فورسبرج

اريك فيديل

الز

مارى

خادم فى الفندق

كتبت هذه المسرحية المؤلفة الدانمركيه مدام كارن برامسون ونقلتها بنفسها الى اللغة الفرنسية . وقد مثلت الترجمة الفرنسية لأول مرة فى باريس بتاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٢٣ على مسرح « الأديون » .

. وقد قام وقتئذ بدور كلينوف « پول ريمير » أشهر ممثلى الدانمرك ، منتدبا من المسرح الملكى بكوبنهاجن . وقام بدور فورسبرج الممثل الكبير « فيرمان چيميه » مدير مسرح الأديون. أما دور اليز فقد قامت به « مدموازيل مادلين كليرڤان » ممثلة « الأديون » الأولى ، وأما دور ڤيديل فقد قام به « آبيل چاكان » ممثل أدوار « الفتى الأول » .

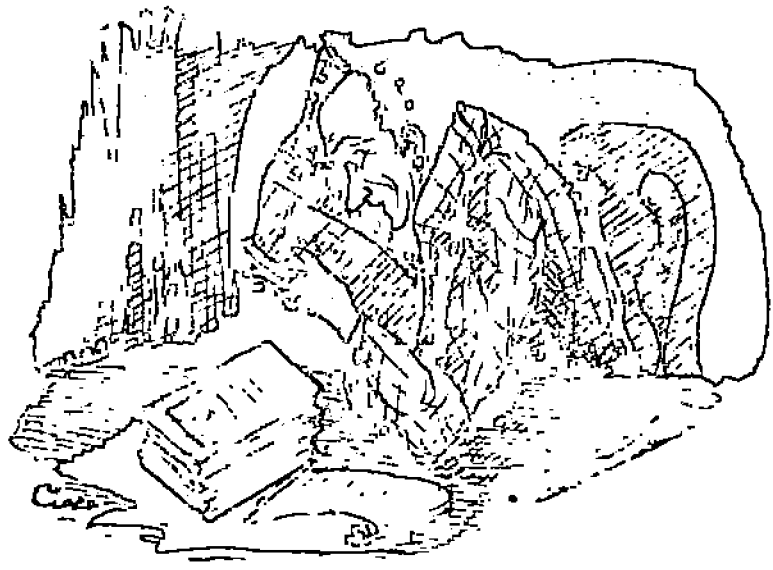

الفصل الأول

حجرة مكتب الأستاذ كلينوف

في الصدر ، باب الدهليز . الى اليمين ، باب حجرة النوم . الى اليسار ابواب بقية الحجرات . الحجرة مؤثثة بذوق غير أنيق ، كتب وأوراق في كل مكان . يدخل كلينوف قادما من الدهليز: هو رجل في الخامسة والاربعين لكنه يبدو أكثر تقدما في السن . دمامته تسترعي الانتباه . جسم هزيل طويل ، رأس كبير ذي شعر اشهب ، لكن عينيه اللتين تطرفان وتعانيان

من قصر نظر شديد يلمع فيهما بريق الخبث والذكاء . يستعرض فى عجلة طائفة من الرسائل والصحف موضوعة على مكتبه . يلقى ساخطا بصحيفة كاريكاتيرية . الا انه بعد هنيهة ، يأخذها ثانيا ، يتفحصها مليا ، ثم يضعها على المكتب ، عازما كتمه فى شيء من عدم الاكتراث .

كلينوف : (ينادى) أليز !

(تدخل مارى .) امرأة فى الاربعين ، خادمة تقوم بكل اعمال المنزل ، قد اصبح من طبعها رفع الكلفة شأن الخادم الذى يطول عهده بخدمة البيت . تحوط كلينوف بنظرات تنم عن اعزاز عميق يخالطه مزيج من القلق والمخاوف)

مارى : هل نادانى سيدى الأستاذ ؟

كلينوف : لست انت . أين اليز ؟

مارى : قد خرجت لتتلقى درسها .

كلينوف : أريد أن تكون هنا حينما أعود . كم مرة ينبغى أن أكرر ذلك ؟

مارى : ولكن ما دام سيدى الأستاذ نفسه ، هو الذى يريد أن تذهب الى كل درس ...

كلينوف : وأريد أن تتكرم بتنظيم وقتها حسب وقتى ! انى اتناول غذائى فى منتصف الساعة الواحدة .

مارى : أأعد لك الغداء ؟

كلينوف : لا أريد أن آكل شيئا .

مـــارى : لا تريد أن تأكل شيئا ؟ اليوم أيضا ! أهذا معقول ، عندما يكون الانسان فى أشد الحاجة الى التغذية ! شان الأطفال حين يغضبون ...

كلينوف : احتفظى برأيك حتى أطلبه منك .

مـــارى : أغلب الاحتمال ؛ حينئذ ، أن أظـــل محتفظة به طويلا ... (بعد برهة) الا أحضر لك ولو بيضة واحدة او شريحة من اللحم ؟ ..

كلينوف : كلا . والآن دعينى هادئا .

مـــارى : (برفق) طيب ، طيب ؛ تذمر ما شئت ، ما دام ضيق خلق سيدى لابد وأن ينصب على رأس أحـــد ؛ فليكن ذلك على رأسى انا ؛ فيمكننى أن أتحمل أكثر من العصفيرة أليز .

كلينوف : دائمـا أليز ! ألا يمكنك أن تفتحى فمك دون أن تتكلمى عنها ؟ لم أعد أطيق ذكر هذه الفتاة ... ماذا تفعل من اجـــلى ؟ أتهتم بى أقل اهتمام ؟ قلت لها مائة مرة أن تكون هنا عندما أعود ! انها تسكن منزلى ؛ تأكل على مائدتى .. قد يكون من واجبى أنا ان اشكرها على هذا الشرف ؟ لقد كنت مفلا حينما آويتها عندى ... هـــذه الصعلوكة التى حلت بينها وبين الالقاء بنفسها فى الماء !

مـــارى : من حسن الحظ ان سـيدى لا يعنى كلمة مما

يقول . هذه البنية الطيبة ... هى شـــعاعنا الوحيد من الشمس ! أوكل هـذا لانها لم تكن على الباب فى استقبال سيدى ! ولكن ماذا يقلقك ؟ (بلهجة قلقة وعائلية) أهما عيناك ؟ آه ! ياربى ، عيناه ! كل ليلة أبتهل الى الله أن يلهم ســـيدى الصواب فيقرر أخـــيرا أن يذهب لاستشارة طبيب عيون .

كلينوف : لست محبا للاستطلاع ، ياماري . اسم المرض لا يهمنى . أما نتيجته ، فأنا أعرفها مقدما .

مـــاري : لا أحد فى العالم يعرف ما سيأتى به الغد . ومن المؤكد ، انه حينما تستحكم حلقات الضيق ، فان الله قد يمدنا بالعون وفق مشيئته .

كلينوف : حقيقة ! ياله من حظ لو جاد القدر علينا بهـذه المنة ! ولكن الا تخشين أن تعوقه كثرة اعماله عن الاهتمام بشخصى الفتان ؟ أى خســارة تحيق بالعالم اذا كنت أنا عمـــا قريب سأفقد عينى الساحرتين .

مـــاري : ارجو الا يضيع سيدى وقتـــه فى السخرية من نفسه فى حين لا يسمعه أحد سواى (وهى تتنهد) يتولى ذلك كثيرون غيرك .

كلينوف : معك حق (يأخـــذ من على مكتبه الصحيفة الكاريكاتيرية) انظرى ! هذا مضحك ... هيه .

لم أر مطلقا شيئا يسبهنى كهذا الرسم . تأملى هاتين الساقين المعوجتين ؛ هذا الظهر المقوس ، وهذا الرأس الكرى ... يالى من مسخ رائع ! (ضاحكا بمرارة) هذه صورة طبق الأصل من طيفى الجميل وانا اصعد سلم الجامعة ؛ راس غاطس بين كتفى وأصابع قدمى مرتفعة فى الهواء ...

مـــارى : هذه الصحيفة السفيهة ! كان من الأفضل أن أحرقها . لقد وضعتها تحت جميع الصحف على أمل ألا يراها سيدى ...

كلينوف : تحرقينها ! انت مجنونة ! هذا عمل فنى من الطبقة الأولى ! بضعه خطوط من قلم تظهر انى أكثر مخلوق يصلح اضحوكة للناس . هـــذا اسمى ما يبلغه الفن ! انا لا يمكننى فى اضخم كتبى أن أسخر من امثالى بهذه المقدرة .

مـــارى : (وهى تمزق الصحيفة بشدة) ان هذه الحشرات القذرة تنتقم من سيدى لأنه يكشف عن حقيقتها فى كتبه . ومن الخسة أن يسخر الانسان من شخص مريض بحنى رأسه لأن بصره قد ضعف . آه ! حينما أفكر كم كنا سعداء قبل أن تبدأ عيناك تنفصان علينا الحياة ! ولكن ايضا ، أيتصور ان

شخصا يعاند مثل هـذا العناد فى الذهاب لاستشارة طبيب ...

كلينوف : نعم ، اليس كذلك ! صباح الخير سيدى الدكتور ... هاك خمسين فرنكا ثمنا لعينين جديدتين ! اهذا ما تريدين ؟ ولماذا لا اقصد قسيسا ؟ أيحتاج الانسان الى طبيب ليموت ؟

مارى : يموت ! ... سيدى الأستاذ ، لا يجب أن يمزح الانسان بمثل هذه الأشياء ...

كلينوف : حقيقة ، انه مزاح يدل على قبح الذوق . تتعفن الجثة لياكلها الدود ... ان تصور ذلك ليس مما يفتح الشهية . ام تحرق فتصير رمادا . أتفضلين ذلك ؟ انا شخصيا لا احب الحر .

مارى : لكن من المفزع سماع هذه الموضوعات ! يا اله الرحمة ! فيما تفكر ياسيدى ؟ ان الانسان لا يموت لان البصر قد اصابه شيء من الضعف ..

كلينوف : انت تعرفين كم أحب النظام . اشترى دائما مظلتين معا ، حتى اذا ما نسيت واحدة فى الترام وجدت الأخرى ... كذلك سوف اشترى مقدما تابوتا مريحا ظريفا مبطنا بالحرير ، كما انى سوف أعد تأبينا مما يكتب على الضريح مملوءا بعبارات المديح الرقيقة ... حتى يكون كل شيء معدا فى الوقت المناسب . لا ترتاعى يا عزيزتى الآنسة

كرستنسن . ليس فى نيتى أن أحضر الى هنا هذا المتاع المبطن بالحرير ... سوف لا أكلفك بتنظيفه وازالة الغبار عنه .

مـــارى : صه ! ... انى أسمع اليز . بحق السماء ، لا تفه بهذه الأشياء المرعبة أمامها .

كلينوف : لك حق . انها ستتألم كثيرا لمجرد فكرة فقدانها اباى . ولكن اتظنين انها ستتألم الى هذه الدرجة اذا ما اعتقدت انى قد ضمنت لها مستقبلها ؟ ماذا تظنين فى ذلك ؟

(تدخل اليز . هى فتـــاة فى العشرين ، جميلة وشقراء ، يتمثل فى هيئتها الوداعة والخجل . فى عينيها الحزينتين مايدل على انها قد عرفت الحياة . يظهر عليها القلق والاضطراب) .

اليـــز : صباح الخير ، ياسيدى الأستاذ . صباح الخير ، يامارى .

مـــارى : كم انت مرهقة يابنيتى !

كلينوف : لقد تأخرت .

اليـــز : نعم ... فقد اضطررت ان الف من طريق أطول .

كلينوف : قد قلت لك أن تكونى بالمنزل فى منتصف الساعة الواحـدة .

اليـــز : الف معذرة ياسيدى . وهل كنت فى احتياج الى من أجل العمل ؟

كلينوف : ليس هذا هو المهم . لقد جئت متأخرة . وانا اريد أن تنفذ أوامرى . اذا كان هذا لا يوافقك ، يمكنك أن تغادرى المنزل .

اليز : (بتهيب) لا تؤنبنى ! سأقص عليك ما حدث لى . .

مارى : (وقد لحظت ان اليز تتردد فى الكلام امامها) أظن من الواجب ان اذهب انا ؟

اليز : ولكن كلا ، يامارى ، يمكنك أن تسمعى كل شىء . .

كلينوف : مارى ليست سيدة شرف فى بلاط أسبانيا . ان عملها فى المطبخ .

مارى : نعم . عندما تحضر الآنسة اليز ، ليس لمارى الا أن تعود الى المطبخ (تخرج) .

كلينوف : (بضيق) والآن ! ماذا حدث لك ؟

اليز : لقد تبعنى أبى .

كلينوف : هكذا ! وهل رآك تدخلين الى هنا ؟

اليز : لا أدرى . . . لم أجرؤ أن التفت ورائى . . . كنت خائفة جدا . . . بمجرد رؤيتى له ، أخذت أعدو فى الطريق . الا أنه كان بخيل لى طول الوقت انى أسمع وقع أقدامه ورائى . . . ولذا سلكت طريقا أطول حتى أضلله . ماذا عساى أن اعمل لو كان قد رآنى أدخل الى هنا ؟

كلينوف : تنتظرين وصوله فى هدوء .

الـــيز : أتظن انه سيجرؤ على المجيء الى هنـــا ... عندك أنت ؟

كلينوف : طبعا ، اذا كان قد رآك تدخلين الى المنزل .

الـــيز : اوه ! لا تستقبله اذا حضر ، أتوسل اليك ! انى أرتعد من الخوف ...

كلينوف : على العكس . أنا أتوق الى رؤيته .

الـــيز : انه لا يستطيع ارغامى على الرجوع عنده ، أليس كذلك ... انه لا يقدر ؟ حتى ولو لجـــأ الى الشرطة ... سوف لا يمكنه ارغامى ... أليس كذلك ؟

كلينوف : كم مرة يجب ان اقول لك : كلا ، كلا ، كلا ! ومع ذلك ، فبناء على ما قصصته على ، لاشك أن السيد والدك سيتجنب مواجهة الشرطة ... الا اذا كانت روايتك المؤثرة ما هى الا ثمرة من ثمرات خيالك !

الـــيز : ماذا تعنى ؟ ... أتظن انى كذبت عليك ؟

كلينوف : أنت امرأة ، يابنيتى .

الـــيز : (بحدة) وهل هـــذا سبب للكذب ؟ فى بيتنا ، كانت أمى دائما هى الصادقة .

كلينوف : الكذب ! ابحثى عن تعبير أخف ... الحقيقـــة مموهة قليلا ... أظن أن هذا أرق على السمع ، أليس كذلك ؟ أسائل نفسى ما اذا كانت روايتك

البديعة ، رواية الضحية ، تدخل ضمن هـــذا التعبير ! أم انك حقا تلك الزنبقة الجميلة البيضاء التى استمدت بياضها ونضارتها من مياه الحفر القـــذرة .

الـــيز : اذا كنت لا تصدقنى ، فلن استطيع بعد الآن أن أبقى فى منزلك .

كلينوف : ماذا تقولين ؟

الـــيز : أقول انى ما قبلت عطفك ومعونتك الا لما زعمته من انك تصدقنى ... قلت لى انى استحق اخيرا شيئا من الراحة والسرور فى الحياة ... وانك ستساعدنى على تعلم مهنة . أثبت لى ذلك تقتك بى وكنت شاكرة لجميلك شكرا لا حد له . أما اذا كنت قد اخطأت الفهم ، اذا كنت تعتقد فى انى فتاة كاذبة تتهم أباها زورا بمثل هذه المنكرات ، اذن ...

كلينوف : هدئى روعك ياصغيرتى ... انى مصدقك . ان تجرد تصرفك من المنطق ، أن تلقى بنفسك بمحض اختيارك فى نفس الحياة التى هربت منها فزعة ، هو فى نظرى أقوى دليل على صـــدق أقوالك ! أوه ! نعم ، انى مصدقك . اذ ليس من المعقول أن تكون روايتك كاذبة .

الـــيز : وماذا كان يمكننى أن أفعل غير ذلك ؟ اين اذهب؟

هناك ، وحيـدة فى الطريق ؟ ... كيف أكسب قوتى ؟ لم أكن ارغب فى الحياة ، كانت حياتى قاتمة ولا قيمة لها . لم يكن فى العـالم اجمع شخص واحد يذرف دمعة على مماتى ... ولكن حينما وقفت هنالك ، فوق الجسر ، أحملق الى هذا الماء الاسود الذى سيبتلعنى بعـد قليل ، شعرت بقشعريرة الخوف تسرى فى جسمى ... لا نجم فى السماء ولا شعاع ... كل شىء كان قاتما وباردا ومخيفا ... لم أقدر . جبنت ... وفى تلك اللحظة رأيتك تقترب ... فـ... فـ... عرضت نفسى عليك .

كلينوف : اسكتى ! لا أريد ان اسمعك تتكلمين فى ذلك بعد الان (يقترب منها وتحنـو يده على شعرها) خسارة كانت تكون فادحة ! امرأة جميلة لا ينبغى ابدا أن تموت . كل جمال يجب أن يخلد ، لأن الجمال هو المثل الأسمى للخليقة . انت جميلة يا أليز ... أتقدرين هذه الهبة التى تفوق كل ثمن ؟ أتتبع عيناك باعجاب تقاطيع جسمك عندما تنظرين فى المرآة ؟ (ياخـذها من يدها ويقودها أمام المرآة) انظـرى الى نفسك ! دورى أمام المرآة ... ثم اخبرينى ألا يختلج قلبك فرحا عندما تدركين أنك مثل اعلى من امثلة الطبيعة ،

نموذج كامل للجسم النسوى ! (فجـــأة وهو يضحك بمرارة ويتخذ وقفته امامها) ومع ذلك ، فلكى تقدرى من كل قلبك هبة الجمال ، ما عليك الا ان تنظرى الىّ .

الـــيز : ولكنى لست جميلة ! من المؤكد انك انت فقط تظن ذلك ... وقد يكون هذا لانك ... لانك... تعتقد فى نفسك ... انك دميم جدا . ولكنك لست كذلك ... أعنى ... ان ... انى الآن لم أعد أشعر بذلك ... على كل حال قد وجدت ..

كلينوف : (ضاحكا) انت لست ماهرة ، ايتها الصغيرة . انك تتلعثمين عندما تكذبين . حسن جدا ! هذا يثبت على اى حال أنك لست معتادة الكذب . ولكنك كبقية الناس . وهذا ما يضايقنى ؛ أنت كالذين يقولون بلسان واحد عن طفل تنيع ... لجلب الابتسام الى شفتى امه : « ما اجمل هذا الطفل ! » هذه الطيبة المبنية على الجبن لا يمكن للانسان أن يفهمها عندما يعرف الكره المتبادل بين الناس . يسرق الرجل دون اى تاثر آخر درهم من دراهم جاره الأحدب ؛ الا أنه يؤكد له بكل ود أن ظهره مستقيم . قولى لى فى وجهى انى أقبح رجل رايته فى حياتك وانا أهنئك بانك قد اجتزت نوعا من النفاق الاجتماعى .

الـــيز : اذن ، سأكون صريحة . حينما رايتك ليـــلا في الطريق قادما الي ، قلت في نفسي : « يا له من رجل دميم ! » ولكن . في تلك اللحظة ، نظرت الي ، وعندئذ رايت ما تحويه عيناك من رقة وذكاء . وهاتان العينان هما اللتان أمدتاني بالقوة على .. على ... محادثتك . ومن ثم لم ار فيك سوى عينيـك .

كلينوف : كفى ! لننس الهموم . لم يبق منها شيء ! الحياة جميلة . هاك شيئا قد أحضرته لك (يخرج من جيبه ربطة صغيرة ويعطيها لها) خذي ! انه حزام. رايته معلقا في احدى « الفترينات » . وكان صغيرا جـــدا حتى أنني رغبت في ان أرى ما اذا كان يناسب مقاسك .

الـــيز : (فرحة كالاطفال) الف شكر ! ما اجمله . مقبضه من الفضـه ! لاشك انه على مقاسي (تنظر بسرور الى نفسها في المرآة) اوه ! انك دائما تعطف علي . طالما ساءلت نفسي هل هذه الفتاة المدللة ، هي حقا تلك التي كانت ... اوه ! كلا ، معك حق ، يجب الا افكر في ذلك بعد الآن . اني الآن انسى ، انسى ، انسى كل ما لحقني من ســـوء ولا افكر الا في طيبتك !

كلينوف : أنا لست طيبـــا . كل ما في الامر أني افعـــل

ما يسرني . فان كان في عملي هذا فائدة لأحد ، لا بأس .

السيز : انت افضل رجل على سطح الارض . ليس في استطاعتي مطلقا ان اقول لك كم احبك من اجل طيبتك وكم أنا شاكرة لجميلك .

كلينوف : هكذا ! اذن فخري ساجدة أمام عظمة نفسي ! ايتها الصغيرة الغبية ! انت تعلمين اني مغرم بالنفوس الجامحة ، اليس كذلك ؟ هذا مشروع منتج . اني أرقب هذه النفوس عن كثب وأسرق منها افكارها . وتلك النفسيات البجحة حينا والمريرة حينا هي التي كونت شهرة كتبي . ولذلك فحينما رايتك قلت في نفسي : ها هو مثل يستحق مشقة الدرس ... عينان كعيني العذراء تحت قبعة من الريش الأشعث في الساعة الثانية بعد منتصف الليل فوق جسر من جسور الضواحي ، تنهدات ودموع ، قليل من الأحمر فوق الخدين ، ثوب قديم رث وشباب ناضر ... كان هذا كنزا لمن كان له مثل مالي من نزوة دراسة النفسيات .

السيز : هذا عيبك الوحيد : لا تعترف ابدا بأن لك قلبا . لكن لك قلبا بالرغم منك ، وساستمر ، بالرغم منك ، اشكر لك طيبتك ... كما اشكر لك في الوقت نفسه ذكاءك .

كلينوف : (وهو ينظر اليها) ذكائى ؟ ... وماذا يهمك من هذا الذكاء ؟

اليز : الرجل الذكى لا يحتقر أحدا . انه بدل أن يتهم الناس يلتمس لهم الأعذار .

كلينوف : (مفكرا) فيمن تفكرين فى هذه اللحظة ؟ انت ابسط بكثير من أن تكتشفى فى نفسى هذه الصفة ، ان لم تكونى قد بحثت عنها عبثا فى نفس آخر . من هو هذا الآخر ؟

اليز : (وهى تخفى ما فى نفسها) كل من يعرف تاريخ حياتى يقول بأنى فتاة فاسدة . لا أحد يلتمس لى عذرا ... كما تفعل أنت !

كلينوف : ولكن من ذا الذى يعرف تاريخ حياتك ؟ انك لم تقص قصتك على احد ، على ما اظن ؟ اذكر انك طلبت منى بالحاح شديد أن اخفى كل شىء ...

مارى : (تدخل) هناك شخص يريد مقابلة سيدى .

كلينوف : من ؟

مارى : لا ادرى .

اليز : (خائفة) يا الهى ... انه هو ! ... انا واثقة انه هو !

كلينوف : (موجها الكلام لمارى) ولماذا لم تسأليه عن اسمه ؟

مارى : رفض أن يصرح لى به . انه يتظاهر بأن لديه أشياء هامة يريد أن يقولها لسيدى .

البيز : لا تستقبله ! انه ما أتى الا ليؤذيني ، اعرف ذلك ...

ماري : لكنها ترتعد من الخوف ، هذه الصغيرة المسكينة ..

كلينوف : اعمال صبيانية ! أي أذى يمكنه أن يلحقه بك وانت هنا ؟ اذهبي بهدوء الى حجرتك وابقي بها الى أن أدعوك .

(تخرج البز مسرعة) .

ماري : هي تعتقد اذن أنه أبوها ؟ ما كان ينقصنا الا هذا !

كلينوف : دعيه يدخل .

ماري : وكيف تتخلص منه ؟ انه ما أتى طبعا الا للنصب والابتزاز .

كلينوف : (بضيق) قلت لك ، دعيه يدخل .

ماري : (وهي خارجة) حسنا ، حسنا ، حسنا .

(يدخل فورسبرج . رجل في الخمسين ، رث الثياب ، مظهره يوحي بانه على شيء من العلم ، ولكن العين تتبين في وجهه آثار جميع الدناءات التي يولدها الجري الملح وراء المال . ينحني باحترام امام كلينوف) .

فورسبرج : هل أتشرف بمحادثة الأستاذ كلينوف ؟

كلينوف : أجل .

فورسبرج : اسمح لي ياسيدي بأن أقدم نفسي . اسمي فورسبرج وأنا ...

كلينوف : هذا يكفي . لقد سبق لي معرفتك ... بالشهرة .

فورسبرج : حقا ؟ ومن يكون يا ترى هذا الذي بلغ به الظرف

ان أوصـــل الى مسامعك شـــيئا عن شخصى المتواضع .

كلينوف : ابنتك .

فورسبرج : ابنتى ! هـــذا مستحيل ... ابنتى ! مدهش ، مدهش ...

كلينوف : لم تتظاهر بالدهشة ؟ أنت تعرف جيدا أنها هنا ، ما دمت قد تبعتها ، أليس كذلك ؟

فورسبرج : (ضاحكا بدون تكليف) صراحة ، كنت متوقعا انك سوف تنكر وجودها عندك . فجاء اعترافك مجردا اياى من كل ما كنت قد احسنت اعداده من هجوم .

كلينوف : انكر ؟ لقد جئت أيها الرجل ، على ما اعتقـــد ، ونفسك مشـــبعة بالشكوك . ان ابنتك تكسب عيشها فى منزلى .

فورسبرج : آه ! كم يسرنى معرفة ذلك ! لقد علمتها اذن تعليما راقيا جدا ، ما دام لها من الكفاية ما يمكنها من كسب عيشها فى هذا المنزل . اذ آمل أنها لا تفمنى بالعمل عندك خادمة بسيطة ؟

كلينوف : الحقيقة ، انه بفضل ما لقنته لها أنت من تعليم بديع ... وايضا بفضـــل بعض الدروس التى اساعدها على اخذها ... أمكننى أن أشغلها عندى شبه سكرتيرة .

فورسبرج : دروس ؟ مدهش ! اى حظ نادر المثال جعل سيدى الأستاذ يهتم بهذه الطفلة المسكينة هذا الاهتمام ... الحبى ! ولكن ... اغفر لى تطفلى اذا سالتك : كيف اذن يتسنى لها أن تكسب عيشها هنا قبل أن تتوفر لها الكفاية اللازمة ؟ اريد أن اقول ...

كلينوف : يمكنك أن تظن ما تشاء .

فورسبرج : ألف شكر ياسيدى على سماحك لى ... قد سمحت لنفسى من قبل . والآن وقد صار كل شيء على المكشوف ، يمكننا أن نتكلم .

كلينوف : وبعد ؛ لقد ضيعت كثيرا من الوقت ! ... ماذا تريد منى ؟

فورسبرج : أريد ابنتى .

كلينوف : اذن ، خذها ... اذا كان ذلك فى امكانك .

فورسبرج : بالضبط . واذا لم تحضر باختيارها ، فلحسن الحظ فى مقدورى أن ارغمها .

كلينوف : وكيف ، أتسمح بان تفسر لى الطريقة ؟ .

فورسبرج : اليس للأب ان يحجز ابنته اذا سارت فى طريق غير شريف ؟

كلينوف : أو تظن أنها تعيش عيشة غير شريفة ؟

فورسبرج : دعنا من التمثيل ، سيدى الأستاذ .

كلينوف : خذ حريتك . يمكنك أنت أن تستمر فى تمثيل

دورك ، الا اذا فضلت أن تتكلم عن الحياة التى كانت تحياها عندك .

فورسبرج : عندى ؟ يا الله ، كانت تعيش مدللة كما لو كانت أميرة .

كلينوف : وكيف تفسر هروبها من هذا النعيم ؟

فورسبرج : فهمت ! ... لقد قصت عليك قصصا مما يرقق القلب ، حكايات مملوءة بسوء المعاملة ، الخ .

كلينوف : لقد حدثتنى عن محال معينة تديرها وراء حانوتك . ألك أن تتكرم فتخبرنى فى أى شىء تستخدم هذه المحال ؟

فورسبرج : فهمت ، فهمت ! هو شىء من هذا القبيل ما اختلقته . لا باس مطلقا . « ميلودرام » جيدة ... هذه الفتاة الصغيرة الوديعة تصبح فريسة الى آخر ما يتبع ذلك . سيدى الأستاذ ، فى هذه المحال التى تحدثنى عنها ، يوجد مكتبى . . نعم ، أقول لك فى صدق وصراحة ، لا يوجد سوى مكتبى .

كلينوف : مكتب غريب فى نوعه ، ملؤه الموائد الخضر والستائر السود ! وهنالك تشغل ابنتك وظيفة « الريشة » ... تحت تصرف الزبائن ، أليس كذلك ؟

فورسبرج : كفى ... كفى ! ان مثلى الأعلى يتحطم ! الأستاذ

جيرار كلينوف ... هذا الفهم الفسيح ، الرجل الذى يبغض الجنس البشرى وينقد عصرنا فى ذكاء وقسوة ... يترك نفسه يؤخذ بشباك فتـــاة كاذبة ... آه ! هذا ما اعجز عن تصديقه ! انسيت ما كتبته فى كتابك الشهير « فلسفة المرأة » (كمن يخطب) « الكذب هو أقوى عنصر فى كيان المرأة . انه عطرها ، لونها ، سناؤها بل وجوهرها ايضا . انه الشرارة التى تذكى رغبة الذكور » أنت تعرف هذا ؟ لقد كتبته ! ومع ذلك ... ها انت تقـع فى الفخ !

كلينوف : (مندهشا) من اين لك معرفة ما كتبته ؟ انت اذن قد قرات كتبى ؟

فورسبرج : افهم سبب دهشتك . فتحت هذه الثياب الرثة لا يمكنك أن تتصور شخصا مفكرا ارقى الف مرة من اولئك الذين يحيكون ملابسهم عند اشـــهر الخياطين (كلينوف لا يظهر اى رغبة فى المجادلة) لا تجاملنى ، أرجوك ! انا اعرف الاثر الذى أتركه فى النفوس . اظن انك بمجـــرد رؤيتى أسرعت بوضع يدك فوق صـــدرك لتتأكد ما اذا كانت محفظتك ما زالت مكانها فى جيبك ! ســـيدى ، لا تخش شيئا . أنا أكره المـــال ، وثن السفلة الذين يدوسوننا باقدامهـم ، نحن أصـــحاب

:لنفوس الكبيرة ! أما معبودى انا فهو الحكمة .
وانت ، جيرار كلينوف ، يا من يلهب فى مؤلفاته
مجتمعنا الفاسد بسياط سخريته القاسية حتى
يدميه ؛ انت القديس الأكبر لهذا المجتمع ! انى
انحنى ، بكل احترام ، أمام سمو هذا الذعن الذى
يحلل نفسه ويكشف عنها علنا كى يكون أقدر على
خلع القناع عما تحويه النفوس الأخرى من نفاق
خبيث ... انى انحنى امامك ؛ ولو انى أشعر
بنفسى ندا لك .

كلينوف : انك مضحك . ولكن قل لى ، من انت ؟ ... ومن
اين أتيت ؟

فورسبرج : من أنا ؟ يا الله ! لا ادرى بالضبط كيف أوضح لك
من أنا . لو كنت ممن يتخذون طريقة تقديم بطاقة
زيارة ، لكتبت عليها : تيودورو دى فورسبرج ،
نفس نبيلة غير موفقة ، قريحة فلسفية لم يتح لها
النهوض . وتحت ذلك ... نقطتان ، ثم ...
نتيجة عوزه الشديد فى الحياة ، تاجر خمر صغير ،
ولكن ، بفضل ما هو عليه من سعة الحيلة ، غشاش
كبير ... اذ ، انى بموجب ما تقتضيه قوانين
غريزة حفظ الحياة ، اسمح لنفسى بان اعمد
خمرى بالماء .

كلينوف : (وهو لا يتمالك منع نفسه من الضحك) ان طريقة

استعمالك للألفـــاظ تنم عن أنك على شيء من الثقافة . من لقنك اياها ؟

فورسبرج : ربما كان ذلك أثرا مبهما تخلف عن حياة الرفاهية التى كنت احياها فى عائلتى الكريمة ... قبل أن تذهب هذه الى الشيطان . أنظر الىّ : ان أمامك ضحية من ضحايا العدل الالهى الذى يترك الأبناء يتحملون تبعة اخطاء الآباء . عندما مدّ ابى العزيز يده الى مال الغير .. وهو لم يقبل ذلك الا عندما لم يبق معه ما يسد به رمقه ... حينئذ اضطر الصغير تيودور ، خادمك المتواضع ، لكى يحصل على قـــوته اليـــومى أن يبيع كتب الطـــالب الأرستقراطى ويلقى بنفســه فى خضم الحياة ... حيث ينبت الفتن والنصب والخداع كما ينبت نبات الفطر السام ، سهل حصاده ... لكنه مر المذاق ! آه ! يا لها من حياة كلب يحياها فيلسوف!

كلينوف : ومع ذلك فهى أفضل من حياة الشرف والأمانة القاسية ، أليس كذلك ؟

فورسبرج : الأمانة ! انت بلا قلب . انك تتحدث عن طعـــم البفتيك الشهى امام شحاذ جائع ! ان الأمانة هى الترف الأسمى الذى يعز ثمنه حتى على اغنى الأغنياء . أنا ، بردنجوتى القذر الممزق ، يجب على ان أكون أكثر اسرافا من كبار الأغنياء ؟

كلينوف : ولكن لماذا تلبس نفسك لباس المتسول ؟ لقد كنت تكسب مبلغا من المال لا بأس به عندما كانت معك اليز ، أليس كذلك ؟ وكنت تقتصد البعض منه . فقد حدثتنى اليز عن خزانة صغيرة اكتشفتها ذات يوم ... فى جانب من الموقد . اذا كان لا يزال باقيا معك بضع قطع ذهبية من هذا المال ، يمكنك أن تشترى لنفسك ملابس أقل رثاثة . انى أميل الى الاعتقاد بأنك تتخذ هذا المظهر البائس لتستجلب الشفقة .

فودسبرج : سيدى الأستاذ ! الشفقة هى أجمل زهرة فى النفس البشرية . لماذا تمنع جمالها من أن يزدهر؟ ان حساسيتى تتحصن دائما بجلد صفيق عند الحاجة ، فانا اقبل شفقتك . وعلى فكرة ؛ اخبرك أنى غيرت مخبأ الخزانة الصغيرة ... أقول ذلك كى تعلم به اليز ، اذ لم يعد هذا المخبأ مأمونا . آه ! انت تظن ولا شك أنى اجمع هذا المال لأصيب به شيئا من متع الحياة . كلا ، كلا ! هذه النقود الحقيرة ... انما هى النجاة لروحى ، هى الأساس لكل شىء ، هى الخطوة الأولى نحو الفرض الذى أقسمت ان اسعى اليه ... مهما نالنى فى سبيل ذلك . اريد ان اهيىء لابنى مركزا هاما يحسد عليه فى المجتمع اللعين الذى أبعدنى

عن مباهجه . أريد أن أعد لابنى مركزا ساميا يجعل الناس ينحنون ، يطاطئون الرؤوس ، يرتجفون أمام قدرته على الاساءة اليهم ... آه ! اى حلم عذب ! هذا هو سرى ، سيدى الأستاذ .. هذا هو علة جشعى ، بخلى ، وكل نقائصى .

كلينوف : اذن ، أتبيع ابنتك لتحصل على مال تعطيه لابنك ؟

فورسبرج : اليز ليست ابنتى . أعنى ، نعم ، طبقا للقوانين المكتوبة هى ابنتى لا ريب فى ذلك ! اذ أن المادة ٣٠٧٧ تقول « يكفى أن يولد الطفل فى اثناء قيام ... » هه ... مفهوم ؟ لكن ، بكل أسف ، هذا لا يكفى كى يغذى فى نفسى عطف الأبوة . وفوق ذلك ، فهى تشبه أمها التعسة . وليس هذا مما يرقق قلبى نحوها ! نفس الفم الذى يتمثل فيه الفجور ... نفس العينين الناطقتين بطهارة الحمام ... ماتت الأم ، لكنها مازالت حية فى جسم ابنتها ، التى يجب ان تكفر عن جريمة أمها ! لقد صممت على ذلك . لماذا تورث فقط أخطاء الآباء لأبنائهم ؟ ما دام النساء يطالبن بالمساواة ، فلتكن المساواة فى كل شىء .

كلينوف : اذن فلابنك أم أخرى غير أم اليز ، ما دام قد نجا من انتقامك ؟

فورسبرج : كلا ، ليس له أم أخرى . الا أنه كان من حظ هذا

الصبى أن ورث عنى جميع خصائصى النفسية . ولذا فانا أجرؤ ، دون أن يكون فى تصرفى ما يهزأ به كثيرا ، أن اعتبر نفسى اباه السعيد ... اراك تضحك ، يا سيدى ؛ ماذا تريد ... لكل وجهه نظره بالنسبة لنوع الشرف الذى يرتضيه . كل انسان يلعب دوره الصغير فى الحياة وعلى كتفيه من وهمه جناحان من الغرور . وهـذا الغرور يبعث الى نفسى الكثير من الرضى . انه يداهن كبريائى كما أنه يوقظ كرهى وحسدى . هـذا الغرور هو الذى يجعلنى أصـيح : لتسـقط الراسمالية ! ينبغى ان اشارك فى كل شىء .

كلينوف : أتبقى على صيحتك هذه اذا ما أصـبح ابنك يوما ما غنيا ؟

فورسبرج : بكل تاكيد لا . أأرى ابنى يركب سيارة فاخرة وبجانبه ممثلة جميلة واصيح بالمساواة ! أتريدنى أن أبقى اشتراكيا متطرفا اذا ما نالنى نصيبى من الثراء ؟

كلينوف : حسـنا ... انا متوفر لدى المال ، ومع ذلك أصيح: المساواة للجميع ...

فورسبرج : حقا ! اذن قاسمنى فيما عندك .

كلينوف : (مستمر فى حديثـه) ... من وقت الولادة : المساواة للجميع فى كل شىء حتى الذكاء وحتى الصـحة .

فورسبرج : يا لك من معابث ! ها انت ذا تريد التهرب !

كلينوف : لى خمسون الف فرنك ايرادا سنويا وانت فقير معدم ... هيا نقتسم ما لدينا . ولكن عندما أصير أعمى ، بعد بضعة أشهر ...

فورسبرج : أعمى ! ...

كلينوف : اتريد ان تقتسم أيضا ؟

فورسبرج : أعمى حقيقة ، ظاهر على عينيك انها ... لقد أثرت نفسى ...

كلينوف : وانا أيضا لى حساب اصفيه مع المعارض الاكبر لآرائنا وهو القدر . حقا ان تصرفاته قديمة بالية . بالرغم من آرائنا الاشتراكية الحديثة ، يواصل هو سياسته فى أن يجعل من هذا رجلا صحيحا ومن ذاك رجلا مريضا ، هذا جميل وذاك دميم ، هذا ذكى وذاك غبى . اى ارستقراطى محافظ ! انه ما زال يتخذ لنفسه المحاسيب ! (يشير بقبضته مهددا فى الهواء) ولكننا لا نريد هذا ، أتسمع ... أيها المولى ! ... ادفع لنا جميعا من عملة واحدة ! امنحنى عينين مبصرتين حقا والا فقأت عين جارى !

فورسبرج : ما اعظمه من درس ! ما أعظمه من درس ! سيدى الأستاذ ، لقد اخجلتنى . لدى دخولى عندك ، كان الكره والحسد يملأ نفسى ... أنت ، فى قمة

المجد ، وانا ، فى الحضيض ، ولو أن كلينا شخصان ممتازان متساويان فى احتقارنا لعباد الملذات . لدى دخولى عندك ، كان يشمل نفسى ان أسلبك كل ما تملك . أما الآن ، فوامصيبتاه ، لم يعد فى استطاعتى أن أمثل دور التعيس لأخدعك .. لم يعد فى استطاعتى أن أستمرىء شفقتى بنفسى ..

كلينوف : أوه ! احتفظ جيدا بهذا الكنز . شفقتنا بأنفسنا هى أكبر قوة منحت لنا . انها تسمح لنا بارتكاب منكراتنا صغرت أم كبرت ... دون تردد .

فودسبرج : حقيقة . بدونها يصير الكثير من الأشياء اشد صعوبة .

كلينوف : ها نحن فى النهاية نتكلم فى الغرض من زيارتك : انت رجل فقير يستحق الشفقة ؛ هذا واضح ! فلك بعد ذلك أن تبدأ فى نصبك ، وراسك مرتفع .

فودسبرج : (رافع الرأس) رد لى ابنتى ، سيدى الأستاذ !

كلينوف : حسنا ؛ وصلنا . اذن لقد ساءت حالة تجارتك؟.. وانت فى حاجة الى المال ؟

فودسبرج : ساءت جدا . لقد وجد الزبائن فجاة ان خمرى قد خلا من النكهة التى كانت تميزه ... آه ! أى سحر تحويه نظرة ناعمة ! سيدى الاستاذ ، انا فى حاجة الى ابنتى .

كلينوف : أخيرا ، ها انت تعترف !

فورسبرج : اعترف ... بماذا ؟

كلينوف : بان اليز قالت الحقيقة .

فورسبرج : جيرار كلينوف ، أخى ، ليس من اللائق بنا نحن الاثنين ، كرجلين يسموان مائة ألف مرة فوق مستوى النفاق العادى ، أن نكذب على بعضنا فيما لا طائل وراءه . انى اعترف اذن ... نعم ، لقد قالت الحقيقـــة ، كما يتجمع الذباب حول قطعة سكر ، كانت أليز تجتذب الزبائن بجمال عينيها . ومنذ أن هربت ، لم يعد يأتى أحد . تدهور كل شيء . أشفقت على نفسى ... ففقرت لها جريمة ارغام اليز على الرجوع ... لقد حان الوقت . ألف معذرة ، سيدى الأســتاذ ، على حرمانى اياك من سكرتيرتك ... الثمينـــة . سآخذها معى . سامارس مالى من سلطة ابوية .

كلينوف : انت تعرف جيدا قانونك المدنى ؟

فورسبرج : احفظه عن ظهر قلب ، كن واثقا . كنا دائما نعمل معا . انه صديق مخلص ! يحمى تماما من يدرك مقدار ضعفه .

كلينوف : حسنا ! اذن فانت لا تجهـــل المادة التى تعطى الأبناء ، متى بلغوا الثامنة عشرة ، الحـق فى أن يهجروا منازل آبائهم ؟ مفهوم ... اليز لها من العمر اثنتان وعشرون سنة ! (هازا كتفيـــه)

سيدى ، اسمح لى ان اقول لك : ان محاولتك فى النصب محاولة يرثى لها ... محاولة غير خليقة بـ ... (ضاحكا) برجل مثلك فوق المستوى العادى . الا انى أضيف شفقتى الى شفقتك واشترك بسرور فى تمهيد الطريق الذى أعددته لابنك ... بمحض اختبارى . آمل ان تكون قد فهمت جيدا ان ذلك بمحض اختيارى ! لعبتك قد اخفقت ... لكنك لم ترقق قلبى نحوك عبثا باعتبارك اياى اخا وندا (يضحك ثانيا ويناوله بضع أوراق مالية) .

فورسبرج : (صائحا) حقا ، كما قلت من قبل : أنت رجل مدهش !

كلينوف : طبعا ، سوف تشرفنى بالعودة من وقت لآخر كى توقظ شفقتى ! أسمح لك بذلك وأترك لذوقك السليم مسألة تقدير المدة ما بين زيارة واخرى (وبشدة فجائية) أما بالنسبة لأليز ، فانصحك ان تتركها هادئة ! لا تقابلها مطلقا فى الطريق ! لا تحاول بأى طريقة ان تذكرها أن لها ابا . لانه ، لو حدث ذلك ، سوف أتخلى عن السرور العظيم الذى ينالنى من استقبالك .

فورسبرج : كن واثقا ! انها لك ... بالرغم مما أشعر به من الأسف الشديد لفكرة اننى سافقد ابنتى ... أراك تضحك ! أؤكد لك انى مخلص فى قولى ! لقد

بدات اشعر نحو هذه الفتاة بعاطفة صادقة . اذ لابد وان يكون لها مزايا فائقة حتى ان شخصا مثلك يهتم هذا الاهتمام بـ ... هم ! ... بتهذيبها

(يدخل اريك فيديل . شاب في الخامسة والثلاثين ، عليه سيما الجد ، له نظرة مستغرقة شأن الفنان الذي يشتغل كثيرا) .

فيـــديل : صباح الخير . آه ! معذرة ! كنت اظنك منفردا . سأنتظر هنا ، على جنب (يهم بالخروج) .

كلينوف : كلا ، كلا ، أبق .

فورسبرج : (باندفاع) أستأذن أنا ، سيداى . لقد سمحت لى اذن ، سيدى الأستاذ ، بان أرسل لك عينة من خمـــرى . أنا لا أورد ، كما قلت لك ، الا الأصناف العتيقة جدا والقيمة جـدا ... ذات المذاق اللذيذ والسعر المعتدل .

كلينوف : اشكرك .

(ينحنى برشـــاقة أولا أمام كلينوف ، ثم أمام فيديل) سيدى ... سيدى ... (يخرج) .

فيـــديل : من هذا « الجنتلمان » الرث الثياب ؟

كلينوف : لقد سمعت ... تاجر خمر فقير .

فيـــديل : شخصية مضحكة ! (كلينوف لا يجيب) والآن ، قل لى قليلا انى أوحشتك ! يخيل لى انه قد مضى دهر لم ير فيه احدنا الآخر !

كلينوف : أين كنت ؟

فيـــديل : كنت مـلازما البيت ... وحيـــدا مع نفسى فى مرسمى .

كلينوف : (ضاحكا) يالها من صحبة ! ألم تجد صـــحبة أفضـــل ؟

فيـــديل : أردت أن أخلو بنفسى ... كنت فى نوبة شديدة .. نوبة من نوبات الحماقة ، كما تسميها أنت .

كلينوف : أنت مؤثر . وهل كنت تتصور أنه يحبس نفسك لأن الحياة بغيضة والناس أدنياء ، يمكن أن تتغير الأحوال ! ومع كل ، فلا يظهر اثر ذلك ! عيناك ممتلئتان حياة وقد حلقت ذقنك على الآخر ...

فيـــديل : انتهت الأزمة . لقد طردت الهموم بالعمل ... آه ! انه الدواء الناجع ... بالعمل يقوى الانسان ضعفه ؛ اذ لا شك انه بأجهاد الجسم يسترد الانسان الميل الى الحياة .

كلينوف : وهل انتهت أخيرا تمثالك الكبير ، بنت البحر ؟

فيـــديل : لسوء الحظ لا . انه باق كما هو . هذه الفتاة البحرية الغامضة التى تموت لشهوة أرضية ... صعب ! ... لا أجد التعبير الذى أصوره على وجهها . الا انى الآن اقوم بعمل جديد فذ . مثلى الأعلى ، ياجيرار ! تمثال يجمع بين جسم اله الحب وراس من احب ... ما قولك فى ذلك ؟

كلينوف : مدهش . انت اذن لك حبيبة ؟ اهنئك من كل قلبى . الا اذا فضلت ان تقبل تعزيتى ؟

فيـــديل : كلا ، هنئنى . لقد تغلبت على الشك ... وانتهيت الى التصميم .

كلينوف : آه ! كنت تشك ... وانتهى هـذا الشك ؟ اى خسارة ! ان أقصى درجات السعادة هى أن تشك فيمن تحب . أن الشيطان نفســـه قد اخترع الفضيلة ليتيح لنا أن نشك ... ونشتهى . اننا اذا ما صرنا واثقين منهن ، سوف نملهن كل الملل

فيـــديل : جيرار ... لقد كنت غاضبا جدا منك .

كلينوف : اشكرك ، ولكن ما الذى جعلنى جـــديرا بمثل هذا الاعتناء ؟

فيـــديل : لماذا كنت تخفى عنى حقيقتها ؟ انك لم تفعـــل ما يقتضيه واجب الصديق .

كلينوف : (وقد جمد فى مكانه فجأة) عن اى شىء تتكلم ؟ عمن تتكلم ؟

فيـــديل : عن أيليز ... بالطبع .

كلينوف : آه ! ... عن ايليز !

فيـــديل : يا للغرابة ! ... كنت اظن انك قد حررت ذلك . فقد رايت جيدا ، على ما اظن ، انى لم أكن ... عديم الاهتمام بها .

كلينوف : (بشدة) هناك الف امراة أخرى انت لست عديم الاهتمام بهن .

فيـــديل : المسالة تتفاوت ، على كل حال . آه ! لقد مضيت فترة من اشـــق ما مر فى حياتى ... بينما كان فى امكانك أن توفر ذلك على .

كلينوف : ماذا تريد أن تقول ؟

فيـــديل : لا تحاول أن تخفى عنى شيئا . لقـــد حدثتنى بنفســها عن كل شىء بأدق تفصيل ... عن أبيها ، عن منزلها ... عن ماضيها ... عن كل شىء ! لقد قالت لى كل ذلك فى اليوم الذى اعترفت لها فيه بانى ...

كلينوف : بانك ... ماذا ؟

فيـــديل : بانى احبها .

كلينوف : (عاجزا عن كظم غيظه) كان ذلك مهارة فائقـــة من جانبها .

فيـــديل : مهارة ؟ على العكس ، كان ذلك بديعا ... منتهى الاخلاص ... وانا شاكر لها هذا الجميل شكرا لا حد له ... ولو انى تأخرت فى ادراك نبل هذه الصراحة . فى حينها ، كنت فى شـــدة اليأس . أردت ألا أراها ، لا افكر فيها ... انســـاها . انساها نهائيا ! جنون ، بالطبع ! لم تفارق مخيلتى لحظة واحدة ! واخيرا ، فكرت ، ما ذنبها هى ؟

أكان من خطئها ان ولدت فى مثل هذا الوسط او ان لها أبا مثل هذا اللص ؟ وحتى اذا كانت لها أخطاء ... ما دمت أحبها كما هى ؛ مـــاذا يهمنى من ماضيها ؟ آه ! أنت ، بدكائك البارد ، لا يمكنك أن تفهم مطلقا ان كل تلك التقاليـــد القديمة تتلاشى فى الانقلاب الفظيع الذى يعترى المرء عندما يكتشف ... انه يحب !

كلينوف : (ضاحكا بعنف) أنت تحب ... بجنون ، حبـا لا حد له ... يدوم خمسة عشر يوما ، او على الأصح حتى اليـوم الذى تكون فيه قد نلت بغيتك . انى أعرفكم ، كلكم سواء ، أنتم ، أيها الشبان الفـاتنون المتأنقون ، ذوو النظـرات القاهرة . مغامرات بسيطة هنا وهناك ... هذه هى رياضتكم ! ومع ذلك ... هذا لا يعنينى . تمتع بصفاتك الخداعة ما شئت . ولكن خارج منزلى ، ارجوك !

فيـــديل : هدىء روعك . انك تهيج اعصابك بلا داع . أظن أن اليز لا يضيرها أن تصير زوجتى .

كلينوف : زوجتك ؟ ... مدهش ... مع كل ما تعرف ! ..

فيـــديل : نعم . والآن ... ايرضيك هذا ؟

كلينوف : لا . يجب أن تعدل عن هذه النزوة .

فيـــديل : أنت مخطىء . انها ليست نزوة ، بل قرار ثابت ليس فى العالم ما يثنينى عنه .

كلينوف : سوف نرى .

فيـــديل : (ينظر اليه ذاهلا) ولكن ، جيرار ... ما معنى ذلك ؟ كنت أنتظر أن أراك سعيدا ! لقد قلت لى مائة مرة انه يضايقك وجود اليز فى منزلك .

كلينوف : يقول الانسان اشياء كثيرة ...

فيـــديل : اذن ، لم تكن صادقا فى قولك ! كنت تريد أن تخفى شدة سرورك بوجـــودها معك ؟ أنت غريب ، يا صديقى القديم ... تفاخر بانك لم تظهر قط أقل عاطفة . لا شىء سوى المرارة والسخرية ذات اليمين وذات الشمال ! ياصديقى المسكين.. اتخفى وراء هذا القناع الكثيف الذى تلبسه قلبا رقيقا حساسا ؟ فى هذه الحالة ، يؤلمنى كثيرا أن أنتزع منك اليز . ومع ذلك ، يجب لك أن تغتبط اذ تعلم ان مستقبلها مضمون .

كلينوف : اشكرك . يمكننى انا ان اضمن لها مستقبلها .

فيـــديل : المال لا يكفى . يوما ما ، قد تجد نفسها من جديد وحيدة ومحاطة بالأخطار . يؤلمنى ان أحادثك فى ذلك ... ولكنك أنت نفسك ، ياجيرار ، طالما قلت لى ان ... ان حياتك لن تطول .

كلينوف : (ساخرا) وكنت تصيح محتجا ! اذن قد تصالحت فجاة مع فكرة موتى ؟ آسف ان ليس فى امكانى ان احقق لك فى الحال هذه الأمنية ... البسيطة.

فيديل : (بشدة) انك لا تستحق حتى الاجابة عليك ! لا أدرى ، ماذا دهاك ؟ لم أعد افهمك . يلمع فى عينيك بريق الحنق والغضب . لو لم يكن ذلك صادرا عنك ، عنك انت ، لكنت مجبرا على الاعتقاد ... ولكن هذا مستحيل ! جيرار ، قل لى ما وراء كل ذلك ؟ ان الانسان لا يتصرف هذا التصرف ازاء صديق ، دون ان يفسر له السبب على الأقل .

كلينوف : صديق ... صديق ! ... لا تنطق بهذه الكلمة كما لو كانت ترتفع بك الى السماء ! ما هى الصداقة ، بوجه عام ؟ خمسة حروف تدل على تباين كبير فى اغراض شخصين ... أو على الأصح الاعتقاد الجازم بأنهما لا يرميان لنفس الغرض ... أترى غير ذلك ؟ اما انا فلا . عندما يقف احدهما فى طريق الآخر ، ما مصير هذه الصداقة ؟ ليس لى صديق ولست صديق احد .

فيديل : حسنا . فجاة اجد ان قد انقطع ما بيننا من صداقة وانى اقف فى طريقك ! ... اليس هذا هو تماما معنى ما تقول ؟ أتعتقد ذلك حقيقة ؟ لا شك ، انى متعود على شذوذك ، ولكن ، فى هذه المرة يظهر لى انك قد زدتها . أجاد انت فى انكار صداقتنا ؟ ... صداقتنا القديمة ؟ ... صحبتنا

الطيبة ؟ ... وهذا بسبب اليز ؟ ولكنك تجبرنى على الاعتقاد بانك ... (هاتفا) جيرار ، أمن الممكن انك أنت نفسك ... (يسكت) .

كلينوف : عاشق لأليز ، تريد ان تقول ذلك ؟ حسنا ، ولم لا ؟ الا تجد فى حبيبا لا يقاوم ؟ انظر الى جيدا . اى مشهد بديع أن تراني راكعا تحت قدمى فتاة صغيرة فتانة ، ولهيب الهوى يلمع فى عينى الضيقتين ، المحمرتين ، نصف العمياء ! احترس ، انى منافس خطر !

قيديل : صديقى المسكين ، انك تحاول المزاح بفمك لكن صوتك شديد المرارة . ... جيرار ، انك تحيرنى . هذه مفاجأة غير متوقعة . انت بما لك من مجد .. بما لك من شهرة واسعة ... أنت الذى يحسدك الناس ، يكرهونك ويعجبون بك ... انت الذى وهبك الله من الذكاء ما لم يهبه لسواك ، انت نفسك تتوق الى الشيء الوحيد الذى أنت محروم منه .

كلينوف : حقا ، اى نكران للجميل ! انت اذن ترضى أن تمنحنى عن طيب خاطر جسمك القوى والمرأة التى تحبها مقابل مجدى وشهرتى ، اليس كذلك؟

قيديل : (مفكرا) أليز ! ... كلا ، لك حق ، لا قيمة للحياة بدونها . لكنها تثير فى نفسى الحنان اكثر

مما تثير الرغبه . انها فى شدة الاحتياج الى من يحميها ويهديها ، هـــذه الصـــغيرة المسكينة المعذبة ! ...

كلينوف : آمين ! ... كم هذا جميل ! احفظ جيدا من ظهر قلب ، هذه الكلمات المعذبة . يجب ان تهمس بها فى اذنها المتفتحة . فبهذا يمكنك ان تفوز بها (صارخا) كذب ورياء ... هذه هى الحقائق الوحيدة الخالدة ! انى أرفع صلاتى الى هيكلك فانت جديرة بها . ان واجبك شاق وعسير ! ... كل غرائز البشر الوضيعة ، تغطيتها انت بكلمات عذبة واختلافات رقيقة . مرحى ، مرحى ... اليز تثير فى نفسك الحنان ، ياصـــفيرى ... واما ما عدا ذلك فليس سوى اشياء غامضة ... فى السحب ! اشياء لا تهم كثيرا ، اوه ! يا قديس سباستيان . ولكنى سوف أعطيك صورتها ! لا شك انها تكفى لأرواء حنـانك اليس كذلك ؟ احفظها بالقرب من قلبك .

فيـــديل : انت تريد أن تجـــرح كرامتى . لكنى ساحتفظ بهدوئى ، لانى أراك تتألم ياصـــديقى . لننهى المسألة ... أين اليز ؟ اريد ان احادثها . لهذا جئت الى هنا ...

كلينوف : ماذا تريد منها ؟

فيـــديل : ولكنى ... قلت لك .

كلينوف : وأنا قلت لك انى أعارض .

فيـــديل : (بحدة) تريد أن تمنعنى من أن أراها ؟

كلينوف : نعم ، الى أن تغير رأيك .

فيـــديل : وتظن انى أحترم معارضتك هذه ؟

كلينوف : لا آمل ذلك . ان عاشقا فى شاهق حبـه يعرف كيف يجتاز كل العقبات . المستحيل نفسه لعبه بالنسبة له . هيا ، اخرج من هنا .

فيـــديل : لا (برعة صمت طويلة) جيرار ، ما الذى تريد الحصول عليه ؟

كلينوف : سوف ترى .

فيـــديل : اتحبها ياجيرار ؟

كلينوف : او هذا ما تفضل تصوره ؟ لقد قلت أن ذلك لن يكون شديد الخطر ...

فيـــديل : أنى أبحث ! هذا هو التفسير الوحيد . ولكن ، أممكن هذا ؟ انت ، جيرار كلينوف ، المعروف من العالم أجمع بكرهك للنساء ، تلك العناكب الدموية كما تسميها ...

كلينوف : كلا . لا احبها . هـــل خاب أملك ؟ كنت تمنى نفسك التسلية بمشاهدتى ألعب هـــذا الدور الهـــزلى ؟

فيـــديل : (مترددا) نعم ، لقد خاب أملى . قل لى انك

تحب اليز فأفهم معنى هذا المجهود المستيئس لمنعى من الفوز بها . عندئذ ، تصير المسألة نضالا شريفا بين رجلين . ولكن اذا كنت لا تحبها ... ما الذى يعتقده الانسان ؟ أيعتقد أن هذا ليس سوى انحراف ؟ محض دناءة ؟ انك تحيرنى . أنت الذى من عليائه يحتقر الآخرين لنقائصهم ، أتشعر حقا بالسرور من فعلك الشر من أجل الشر ؟

كلينوف : ان ما اشتهرت به من الاحتقار للناس قد يكون له جذوره فى معرفتى العميقة لنفسى . لو كان لى ، انا ، اجنحة الملائكة ، كيف كنت أدرك جيدا كنه ما لكم من مخالب الشياطين ؟ يسرنى أن تفهم اخيرا : انى شرير ، حسود ، حقود كالآخرين ... وحتى لا تخطىء التقدير ... اكثر منك . انت ، يا أريك ، انى أمقتك ... مقتا جامحا ، مقت الفقير الهندى المطرود من طائفته . أمقتك من اجل عينيك ، من أجل شعرك ، من أجل جسمك . امقتك لأنه ليس عليك الا ان تمد يدك لتحصل على ما أنا محروم منه طول الحياة . هذا واضح ، أليس كذلك ؟ وما دمت الآن قد عرفت شعورى .. هيا ، اخرج ! ليس لديك ما تفعله هنا . لن تنال اليز . لا انت ، ولا أنا ! ... أبدا ! أسمعت ... لن تنالها ... وذلك فقط لأنى لا أريد . ما دمت

حيا سـوف أمنعك . واذا عارضت مشيئتى سينشب القتال بيننا ، قتال حتى الموت .

فيديل : (صارخا) ولكن هذه دناءة ! ... هذا جنون ! لا لشيء سوى حسدك الوضيع ... تـ ... لكن هذا غير معقول ! اذا عارضت مشيئتك ! يا الله ؛ انك أنت الساذج الآن . أيخيل لك ان دناءتك هذه تجعلنى أترك أليز ؟ حسنا ! لقد قبلت القتال. وسوف لا أكون أنا المغلوب .

كلينوف : حسن جدا . ها قد افتتحت المعركة . تفضل بمغادرة منزلى فى الحال .

فيديل : اترفض ان تدعنى أراها ؟

كلينوف : نعـم .

فيديل : هذا مضحك ... يمكننى أن أعود غدا ، بعد غد ، كل يوم الى ان أجدها منفردة .

كلينوف : عد وقتما تشاء . ولكن اذهب الآن . لقد سئمت هذه المحادثة .

فيديل : انى ارثى لك ، ياجيرار . اذ كلما توغلت فى شرك كلما كان مؤلما لك أن تعرف ان قتالك بلا أمل .

كلينوف : اشكرك على كلماتك الرقيقة . الوداع .

(فيديل يتردد برهة ، ثم يخـرج دون ان يجيب . كلينوف يفكر مدة طويلة وهو يسير فى الغرفة ذهابا وجيئة بعد ذلك يذهب الى الباب وينادى اليز)

اليز : (بصوت قلق من وراء الباب) انت وحدك ؟

كلينوف : نعـــم .

اليز : (وهى داخلة) اكان أبى ؟

كلينوف : نعـــم .

اليز : ماذا كان يريد ؟ ماذا قال لك ؟

كلينوف : جاء يبحث عنك ، بالطبع .

اليز : وكيف أمكنك أن تجعله يرحل ؟ آمل ان لا تكون قد اعطيته نقودا ؟

كلينوف : لقد اعطيته .

اليز : اوه ! ما كان يجب أن تفعل ذلك . سوف لا ينقطع عن المجيء .

كلينوف : مؤكد . ولكن كانت هذه هى الطريقة الوحيدة ليتركك هادئة .

اليز : (قلقة) لا افهم ... كأنك مضطر أن تشتريه ليتركنى هنا ؟ (كلينوف لا يجيب . اليز وقد ازداد قلقها) ما كان عليك الا أن تفهمه ما كنت تقوله لى دائما : من انه لم يبق له علىّ أى حق ، اليس كذلك ؟ (كلينوف لا يجيب) لماذا لا تجيبنى؟ ثم تنظر الى هكذا ؟ انك تخيفنى ... ماذا حدث ؟

كلينوف : اليز ، لقد كذبت عليك .

اليز : كيف ، كذبت على ؟ فى اى شىء ؟

كلينوف : ليس حقيقة أن ابالك لم يعد له عليك حقوق .

اليز : ليس حقيقة أن ... فى امكانه اذن أن يرغمنى على الرجوع ؟

كلينوف : نعـــم .

اليز : (تبقى صامتة برهة ، وقد شحب لونها) ولماذا اخفيت عنى الحقيقة ؟ تركتنى أعيش هنا ، واثقة، هـادئة ...

كلينوف : من أجل ذلك كذبت عليك ، يا اليز ، لأبعث قليلا من الراحة الى قلبك الصغير المسكين المعذب .

اليز : آه ! لقد اسأت التصرف . اتفهم ذلك ! بعـــد ما علمته لى ... اذا كان يجب أن اعود عنده ... كلا ، كلا ... انى الآن أرتجف رعبا عندما أفكر فى ذلك ؛ يخيل لى أن كابوسا يطبق على صدرى. تلك الغرفة الكبيرة المظلمة وقد أفسد هواءها دخان التبغ ... زجاجات الخمر على الموائد ... وجوه السكارى المخدرة المنتفخة ... وأبى ، لئيم ويقظ ، يدور بخطوات الذئب مترصدا من يفسون فى الورق ... والقبو الرطب الذى يحبسنى فيه ليرغمنى على تحمل المداعبات البغيضـــة لهؤلاء السكارى ... أوه ! انى ما زلت اشم بخـر أفواههم ... ارى وجوههم المحمرة البشعة ...

كلينوف : (بسرعة) اسكتى ! لا تثيرى هذه الصورة ... انها شديدة القبح . لن تعودى اليه اذا كنت تودين

البقاء عندى ، لا احد يمكنه أن يرغمك على مغادرة منزلى .

الـــيز : تقول انه ، بالرغم من كل شيء ، يمكننى أن أبقى عنـــدك ؟

كلينوف : عذا يتوقف عليك .

الـــيز : لكن ... لكن ... منذ لحظة كنت تقول العكس ..

كلينوف : يلزمنى أن ابين لك حقيقة موقفك حتى اجعلك تفهمين جيدا ما أعرضه عليك ... الطريقـــة الوحيدة لانقاذك (كما لو كان يفكر بعمق) انت تعرفين وحـــدة حيـــاتى . ليس لى اهـــل ولا اصدقاء ... لا احد يهتم بفعل من أفعالى .. حتى ولا وارث اترك له ثروتى البسيطة ، اذ أنه فى ظرف سنة ... وقد يكون اقـــل ... من يدرى؟ .. سوف أختفى عن سطح هذه الأرض .. كلا ، كلا ... لا تقاطعينى . انى اقول الأشياء كما هى . دون أن أضر بمصلحة أحد ، يمكننى اذن أن اقوى مركزك فى منزلى بحيث تصـــيرين فى مأمن من كل شيء . أتوافقين ؟ انى اتقـــدم اليك ، يا أليز ، طالبا أن تكونى ... أرملتى !

الـــيز : (غير فاهمة) ماذا تعنى ؟ انت تريد ... تقترح أن ... ان تتزوجنى ؟

كلينوف : أجـــل .

السيز : تريد أن تتزوجنى ... أنا ؟ بعد كل ما تعرفه ! اوه ! كنت على حق اذن فى قولى انك أفضل رجل فى العالم . ولكن لا تخف ... انى أرفض ... سوف لا استغل شفقتك الى هذه الدرجة .

كلينوف : (هازا كتفيه) كما تريدين . فكرى ! انى اترك لك الخيار !

السيز : (وجلة) لكنى لست املك ما أعطيه لك مقابل ذلك .

كلينوف : وهل طلبت شيئا ؟ انى قدمت لك اقتراحا ... دون شرط . لا تكلفى نفسك مشقة التردد اشفاقا على . الظاهر انك تفكرين فىّ أكثر مما تفكرين فى نفسك ... ما دام فى امكانك أن تتصورى وترتضى لنفسك مصيرا اتعس ، على ما ارى ، من البقاء فى منزلى ... تماما كما كنت من قبل ، لا فارق سوى ما يسبغه عليك هذا الزواج الصورى من حماية تامة مؤكدة .

السيز : (مرتبكة) اوه ! كيف أفسر لك ... انى شديدة الاضطراب ... لا تغضب ... لا تحكم على بشدة الحماقة ... اذا ما رفضت منحتك الكريمة ... أنت تعرف شديد تقديرى لجميلك .. ولكن .. ولكن ... لا يمكننى الموافقة على ان اصبح زوجتك ... ما دمت ... ما دمت لا احبك .

كلينوف : أهذا ممكن ؟ انت لا تحبيننى ؟ يا للغرابة ، لماذا اخبرتنى بذلك ؟ الا تخشين ان تسببى لى خيبة أمل فظيعة ؟ (يسير فى الغرفة وهو يصفر خفيفا ، فجأة يقف أمام اليز) أترين ان فى هذا ما يمنعك من قبول اقتراحى ؟ كثير من النساء ، ياصغيرتى، لاسباب اقل خطورة ، يبعن الحب رخيصا ليضمن مأوى الزوجية . ولكن ربما كان لك مأوى افضل؟ ربما كنت تنتظرين خطوبة احسن من هذه ... خطوبة من شخص له عينان جميلتان وقلب ملتهب الى آخر ما يتبع ذلك ! فيديل مثلا ؟ هل يعجبك؟

اليز : فيديل ... لماذا تحدثنى عنه ؟

كلينوف : أوه ! لقد ذكرت اسمه مصادفة (يلاحظها من طرف عينيه) ومع كل ، فيخيل لى انه كان يبدى نحوك شيئا من الاهتمام ، منذ مدة ، ويحدث احيانا أن يقابل هذا النوع من الاهتمام بالمثل .

اليز : أنت مخطىء .

كلينوف : فى اى شىء ؟

اليز : انه لا يهتم بى ... بالمرة .

كلينوف : أتعتقدين ذلك ؟

اليز : انا واثقة تمام الثقة .

كلينوف : تقولين ذلك بتأكيد غريب !

اليز : لانى أقول شيئا اعرفه .

كلينوف : وكيف توصلت الى معرفته ؟

اليز : لأن ... (تسكت) .

كلينوف : حسنا ... استمرى !

اليز : كلا ... كلا ... لا يمكننى .

كلينوف : آه ! يظهر ان الآنسة فى شدة الارتباك ! انى اشم رائحة سر صغير - أيكون من أجل هذا الشاب الجميل ... ترددك فى قبول أقتراحى (اليز لا تجيب) لا تجيبين ! هذا جواب حسن . مدهش، الآنسة اليز والبة بحب المثال ذى الشعر الأسود الفاتن ! فى الحقيقة ، اختيار لا باس به ... (مخفيا حنقه وراء ابتسامة ساخرة) ليس عندى أقل نية فى ان أؤثر على تصميمك ، ياصغيرتى ... على العكس ، انى اقدر كل جميل أصادفه فى الحياة ... سواء كان تضحية مؤثرة فى سبيل الحب او اى مثل آخر من أمثلة الجمال فى الحياة الانسانية . حقا ، ان الحب الذى يشمل نفسك لابد وان يكون ذا قوة عنيفة نادرة ما دام يجعلك تفضلين الرجوع الى ابيك على البقاء هنا هادئة ..

اليز : لن اعود ... ابدا ... أبدا .

كلينوف : اذن ماذا تظنين أن فى امكانك عمله ؟ تهربين من جديد وتعيشين فى الطريق ؟ هذا جميل ، انى شديد الاعجاب ... فلكى تحتفظى بصورة

حبيبك فى قلبك ، تضحين بكيانك ... لا تخافين من شيء ... تذهبين اليه ... حتى فى الحرام . آه ! ربما كان لا يزال لديك أمل فى أنه سوف يتناسى الماضى ! ... ولكن ، صدقينى ياصغيرتى ، هذه مسألة تصعب على معظم الرجال .

الـــيز : لا تحدثنى هكذا . ان صوتك شديد القسوة ... وما تقوله يسبب لى آلاما مبرحة ... يكفى ما انا فيه من ضيق ... انحقد علىّ لأنى لم اقبل منحتك فى الحال ، أليس كذلك ؟ (مترددة) كنت مخطئة ... نعم ، كنت مخطئة ... الآن وقد فكرت (تنفجر فجاة فى البكاء) اقبل ، طبعا ... ما دام يجب ذلك ... ليس امامى طريق آخر .. لقد أوضحت لى عـذا ! وطبعا ، اشكرك ... لانك ... لأن ...

كليتوف : (ممررا يده بارتباك فوق راس اليز) كلا ، كلا ، لا تبك ياصغيرتى ! هناك شيئان لا احتملهما : بكاء المراة وصرير القلم . كفى ... كفى ... أرجوك !

الـــيز : (وقد تمالكت نفسها) معذرة ... ان من الحماقة أن ابكى ... ومن قلة الذوق ايضا بالنسبة لك . على العكس ، يجب ان ابتهج بنصيبى ... كم من النساء يحسدننى ... حتى على مجرد عثورى على منزل ياوينى ... لن ترانى بعد الآن باكية ، اعدك بذلك .

كلينوف : لا تعدى بشيء فوق مقدورك ، ياعزيزتى . أى زوج تصحبينه فى كل مكان ، أوه ! ... مسخ كالغول ... ومع امرأة صغيرة آية فى الجمال ... منظر تتقزز منه النفس ! والآن ، دعينا من الكلام فى ذلك ! لقد تقرر الأمر . ضعى سريعا بعض ملابسك فى حقيبة . سنرحل بعد ساعة . اذا كان ينقصك شيء سوف نشتريه فى الطريق .

اليز : نرحل ؟ هكذا ... سريعا ؟ ولكن الى أين ولماذا ؟

كلينوف : أنت تعرفين ... قراراتى دائما طارئة ... حتى بالنسبة لى فى بعض الأحيان . مضت مدة لم آخذ فيها أجازة من الجامعة . وأنا فى حاجة الى الراحة . وأيضا ، رحلة « شهر العسل » يجب ان لا تحذف بأى حال من برنامج « العرس » ...

اليز : لننتظر على الأقل بضعة أيام . كل ذلك يأتى فجأة ! ...

كلينوف : آه ! الآنسة تشعر أنها الآن سيدة المنزل ! وتريد أن تكون هى الآمرة ...

اليز : كلا ، كلا ، سأفعل ، طبعا ، ما تريد ... ولكن اذا كان لا يؤثر عليك تأجيل هذا السفر بضعة أيام ..

كلينوف : أنا لا أحب ان أؤجل شيئا ما . يصير الانسان بخيلا بأيامه ... حينما يشعر أن الباقى له منها محدود ...

الـــيز : لا تلمح لهذا الموضوع ، أرجوك ! انه مؤلم جدا . وبماذا يمكننى أن أجيبك ؟ انك تغضب عنـــدما اقول لك انى لا اعتقد . . .

كلينوف : لا تكونى غبية ، يا اليز . على العكس . . . ابتهجى فرحا حينما تفكرين انك سوف تصيرين أرملتى الصغيرة الجميلة . هذا هو الحل الوحيد المناسب لك ، يا عزيزتى . والآن عجلى باعداد ملابسك ! . . سنتم حديثنا فى الطريق . وقـــولى لمارى ان تحضر .

الـــيز : نعم (تسير ببطء نحو الباب) .

كلينوف : (يمسك بيـــدها ويقول فى شىء من التهيب ؛ لا تقلقى . . . سوف لا اسىء اليك .

الـــيز : (بحزن) بل أنت دائما تحسن الى (تخرج . كلينـــوف يبقى مفكرا ، ثم يجلس الى مكتبه ويكتب خطابا) .

مـــارى : (تدخل) ماذا يريد سيدى ؟

كلينوف : ملابس السفر . . هل هى معدة ؟

مـــارى : ماذا ؟ لوازم السفر ؟ فى هذه الأيام من الربيع التى هى أسوأ وقت للروماتزم ؟

كلينوف : (بضيق) لوازم السفر هل هى معدة ؟

مـــارى : مفهوم . انها دائما معدة . . . كما أمر سيدى .

كلينوف : حسنا . عندما يأتى غدا السيد ڤيديل ، أعطيه هذا الخطاب .

مـــارى : الا يريد سيدى ان اذهب فاسلمه له الآن ؟

كلينوف : افعلى ما آمرك به ولا تيء سواه .

مـــارى : طيب ، طيب .

كلينوف : (يناولها الخطاب) ها هو .

مـــارى : شكرا ، سيدى ! تناخر برعة مقلبة الخطـــاب فى يدها) .

كلينوف : ظاهر على وجهك الفضول ياصغيرتى الآنســـة كرستنسن . اتريدين ان اوفر عليك مشقة محاولة قراءة الخطاب وهو داخل الظرف ؟ أيسرك أن تعرفى ما كتبته ؟ حسنا : لقد كتبت انى ساتزوج اليز وأننا سنسافر فى رحلة بعد ساعة . هه ! هل استرحت الآن ؟ (يخرج بسرعة من الشمال) .

مـــارى : (فى شدة الدهشة) يا اله الرحمة ! . . .

ســـتار

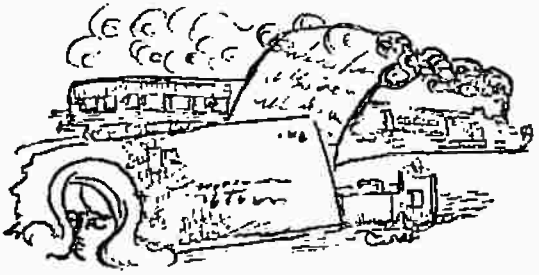

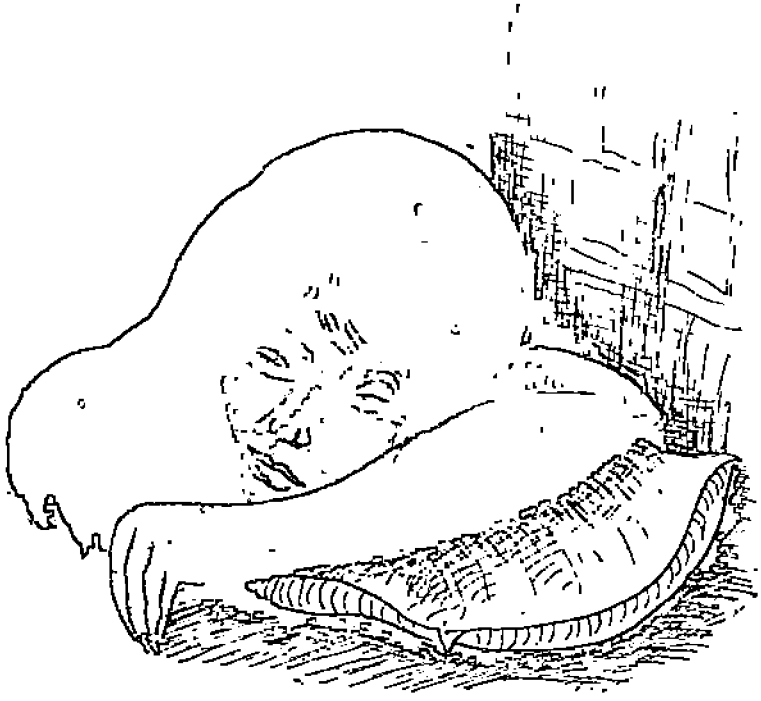

الفصل الثانى

صالون فندق باحدى مدن الشاطىء فى الخارج . فى الصدر باب كبير يفتح على شرفة تطل على منظر البحر. اليز متكئة على حافة الشرفة .

كليوف جالس فى الصالون ، بين يديه صحيفة ، ولكن عينيه تارة يتبع بهما حركات اليز ، وتارة يعلقهما بتعبير يدل على فرط الاعياء .

الـــيز : (مخاطبة كلينوف من الشرفة) هذه ساعة النزهة، الآن . يالله من زحام ! ... تعال هنا قليـــلا ، يا جيرار . انك دائما تلازم الفرقة المعتمة .

كلينوف : انا مستريح جدا هنا .

الـــيز : انت تقرا ؟

كلينوف : نعـــم .

الـــيز : الا ترى أن ذلك يتعب عينيك كثيرا ؟

كلينوف : ليس فى هذه اللحظة .

الـــيز : (وهى تتكىء ثانيـــا على حافة الشرفة) أوه ! ما اجمل هذه المرأة ! أى توب بديع ! ... وهى تلبس عقدا من اللؤلؤ ... حباته كبيرة كالبندق (بعد برهة) غريب ... حقا أن هنـــاك نساء لا يفكرن فى شىء مطلقا سوى الملابس الجميلة ... (تسمع موسيقى عن بعد) اســـمع ! ... انه « أركستر » الكازينو قد بدا (تتبع برأسها نغم الموسيقى) احب صوت الموسيقى عن بعد ... أود ان اترك نفسى هكذا ، تهدهدها هذه الموسيقى برفق ... واسبح فى عالم الاحلام ... (ترجع من الشرفة ، وبعد برهة صمت تقول) ستقام حفلة راقصة ، هذه الليلة ، فى الفندق . نحن مدعوان . هذا مكتوب على اعلان معلق فى الدهليز ... أرأيته ؟

كلينوف : معنى ذلك انك تتوقين الى حضور هذه الحفلة ؟

اليز : أوه ... انا ، ارقص ! ... (تتنهد) ربما رغبت في حضورها من اجل ان نسرى عن انفسنا قليلا ! ... اننا دائما نبقى وحيدين هنا ، نحن الاثنين ...

كلينوف : اسئمت ؟

اليز : (بلهجة انيسه) ولكن كلا ، كلا ! ... فقط ... وحدتنا تظهر لى أشد قسوة هنا ، وسط هذه الحياة الحافلة . كل هذه الزهور ، ثم الموسيقى وهذه الشمس الساطعة ... تشعرنى كأنما انقدت الحمى من حولنا .

كلينوف : ان الحمى منقدة فيك انت نفسك ، يا صغيرتى . منذ لحظة ، كانت عيناك تلتهب رغبة لدى رؤية ملابس النساء الأخريات ... « المزيد ، المزيد » هذه صيحة الجمهور ... وانت منه . ما زلت أذكر حذاءك البالى الموحل ليلة مقابلتنا ...

اليز : (وقد آلمتها كلماته) منذ مدة ، وانت تؤلمنى بأمثال هذه الكلمات القاسية . لماذا ؟ ... أعيناك تؤلمانك اكثر ؟

كلينوف : نعم ... عندما اراك .

اليز : (تنظر اليه محملقة) ما الذى تريد ان تقوله ؟

كلينوف : لا شيء . انى أمزح (برهة صمت) وعلى اى

حال ، أعتذر لك . أنا أيضا اطلب « المزيد ! » البارحة سمحت لى عن طيبه خاطر أن اقبـــل يدك . . . تجاسرت أنا ووصلت بفمى الى المرفق . . وحينئذ ابتعدت كما لو كانت قد لســعتك نار محــرقة .

الـــيز : أنا فعلت ذلك ؟ لا أذكر . . .

كلينوف : حقا ؟ كان ذلك اذن دون وعى ؟ وهذا أسوأ . . .

الـــيز : (باخلاص) جيرار ، انه مما يشرفنى أن تقبل انت يدى .

كلينوف : آه ! يشرفك ! . . . أشكرك . أنت تجيدين تمثيل دورك ، ايتها المخاتلة الصغيرة .

الـــيز : دورى ؟ . . . ولكن ماذا تقصد ؟

كلينوف : لا شيء . على كل حال ، هذا المرقص . . . سوف نذهب اليه ، طبعا ، ما دام ذلك يسرك . اعنى . . أننى سأقودك اليه ، كما لو كنت خادما يســير فى ركاب سيدته ، لاعجب بك عن بعد . التانجو لم يخلق لمثل قوامى الرشيق . اما لاحظت نظرات العطف تتبعك فى كل مكان نذهب اليه ؟ مسكينة هذه السيدة الصغيرة الفاتنة . . . مع هــذا الزوج البشع !

الـــيز : (لا تدرى فى اول الأمر كيف تجيب ، ثم تقول) ولكنك جيرار كلينوف !

كلينوف : (ضاحكا) جيرار كلينوف ... حقا ! ياله من عملاق ! ربما ظننت ان الراقصين يتحدثون بفلسفتى بينما تلمس أجسامهم اثواب من معهم من نساء حسان !

السيز : (بشدة) لنترك الكلام عن هذا المرقص ! لا أريد مطلقا الذهاب اليه . سوف لا يكون هنالك سوى اغراب ، لا أحد يسرنى مقابلته ... كلا ، لن نذهب ... كل هؤلاء الأشخاص الذين لا أعرفهم ... تنقبض نفسى لرؤياهم .

كلينوف : فيمن تفكرين ؟

السيز : فيمن أف ...

كلينوف : تفكرين فى شخص تودين مقابلته ، وهو لا يأتى .. والا لما انقبضت نفسك لرؤية الآخرين ... (مضيفا بسرعة) لا تعارضينى ! انا أعرف .

السيز : (قلقة) وهل يعرف الانسان دائما هو نفسه فيما يفكر ... (تخرج مرة أخرى الى الشرفة لرؤية المتنزهين ، ثم ، تستدير نحو كلينوف) لقد أدركت الآن فيما كنت افكر ... لم أكن افكر فى ... فى ... الشخص الذى تلمح عنه غالبا .. لكنى كنت أفكر فى كل العالم ... فى كل الناس ، كل اولئك الذين يسيرون فى الطريق تحتنا ، يطفح من وجوههم البشر والسرور . أريد أن

اعرفهم جميعا ... اعرف أفراحهم واتراحهم . وهل ينالون رغم ابتساماتهم ! ... أيدركون ما هى السعادة الحقة ؟ ... من يحبون ؟ وهل يفكرون جميعا فى غرامهم ؟ افكر فى كل هذه الحياة حولى ، تلك التى أجهلها وساظل لها جاهلة ... وهذا ما يقبض نفسى .

كلينوف : أنت اذن تفكرين فى الحب ، ما دمت تعتقدين أن الآخرين يفكرون فيه ؟

السيز : (تدخل ثانيا وتبقى مفكرة عند باب الشرفة) الحب ... لم يحبنى أحد قط . انى اجهل هذه السعادة .

كلينوف : طالما تجهلين هذه السعادة ، ياصغيرتى ، فانت تؤمنين بها .

السيز : اوه ! نعم ؛ أعتقد ذلك . لماذا نعيش ، اذا لم يكن هنالك سوى تلك الأشياء الكئيبة التى تصادفنا كل يوم ؟ لقد منحنا الحياة لنكون سعداء ... هذا ، ما اعرفه ؛ أشعر به ؛ اقراه على صفحة السماء ... البحر ... الشمس ... الزهور .

كلينوف : وانا أيضا ، اومن بالسعادة كل الايمان . يكفى ان نصبو الى شىء بكل نفوسنا ... دون أن نناله ... لندرك ان السعادة كائنة ؛ لاننا عندئذ ، ندرك ... أننا محرومون منها .

اليـــز : (وهى تحملق اليه) أحقا هل هناك شيء تتمثل فيه عندك السعادة ؟

كلينوف : (بابتسامة ساخرة) هناك انت .

اليـــز : انت تجيبنى بدعابة لتخفى أفكارك . لم أصـــل مطلقا الى فهمك . مع ذلك ، عندما تتنازل احيانا فتحدثنى عن نفسك ، يسرنى ذلك . لقد علمتنى ان افكر بحرية ... دون خوف ... دون تأثر . والآن ، أجبنى بصراحة ! ما هى أسمى أمانيـــك فى الحياة ؟ ما هى أقصى آمالك ؟ ما هو الغرض الذى تنزع اليه روحك ؟ اهو تقدم الانسانية الذى طالما حدثتنى عنه ؟ اهو فلسفة جديدة ؟ اله ؟ .. أم هو فقط صحتك ؟ ... عيناك ؟ قل لى ، أود ان اعرف .

كلينوف : (ناظرا اليها) احقا تودين أن تعرفى ، ياأليز ؟

اليـــز : نعـــم .

كلينوف : هو الموت .

اليـــز : الموت ؟ ...

كلينوف : رغبة معقولة ، اليس كذلك ؟ ... ليست فى حدود المستحيل .

اليـــز : (بعد برهة صمت) اذن قد كنت محقـــة ، يا جيرار ... منذ مدة ، وأنا اشعر بأنك معذب ، قلق ... (بصوت ملؤه الشفقة) عيناك ... انت خائف ، اليس كذلك ؟

كلينوف : لست اخاف شيئا ... ما دمت واثقا ان اسوا ما سيصيبنى لا مفر منه .

السيز : ولكنك سريع الاستسلام ... كل مرض قد يشفى .

كلينوف : ألم اخبرك من قبل انه كان لى أخ ؟

السيز : كلا .

كلينوف : حقيقة ، أنا أتكلم عنه نادرا ... لست مفرما بـ ... بهذا الضرب من الحديث . باختصار ، كان لى أخ . مات منذ اربع سنوات ... مخنوقا بحبل لفه حول عنقه . كان هو البكر . كان يشبهنى تماما ... فى ضعف البصر وقصره . عندما قارب السن التى أنا فيها الآن ، بدأت عيناه فجأة تـ ... تجودان عليه بنفس النعم التى تجود بها الآن عيناى على : آلام وفقدان بين حين وآخر للبصر ... وبعد سنة ، كان أعمى .

السيز : أتوسل اليك ، اذهب لاستشارة طبيب عيون ! لماذا لا تريد الذهاب ؟ حتى ولو احتاج الأمر الى اجراء جراحة ...

كلينوف : هذا هو نفس ما فكر فيه أخى . لقد استشار خمسين طبيبا كان كل منهم يصف له دواء مناقضا للآخر . وعندما جن فى النهاية نتيجة ما كان يتناوبه من اليأس والأمل ، اقسمت أنا انه فى مثل

حالته سوف أوفر على اعصابى هذا الجهد الاضافى الخفيف .

الـــيز : جرب ولو مرة واحدة ! ... لماذا تريد أن تترك كل امل ؟

كلينوف : تحياتى لذلك الأمل ... انه اختراع جميـــل للموانس اللائى ينتظرن عشاقهن الى سن الستين ... انه ولا شك يمدهن بالعزاء والسلوى . كلا ، يا صغيرتى ، الأمل لم يجعل لى ... هذه الاكذوبة الملطفه التى يسر بها الانسان الى نفسه لا قيمه لها بالنسبة للرجل الذى له الارادة على أن يسيّر حظه .

الـــيز : ولكن ... ولكن ... اذا كان حقا سيصيبك هذا الشيء الفظيع فـ ... فتصبح اعمى ، اذن يكون الحظ هو الذى ...

كلينوف : (بشدة) حقيقة ، اذا ما ارتضيت حكمه ...

الـــيز : (بعد برهة صمت) الآن ، قد فهمت فيما تفكر حينما تحدثنى عن موتك القـريب . تريد انت نفسك ان ...

كلينوف : نعم . ولسنا فى احتياج الى الكلام فى ذلك مرة أخـــرى . انى أمنعك من الآن فصـــاعدا من التحدث ... بل من التفكير فى هـــذا الموضوع ؛

يا عروستى . سوف ننساه ... نحن الاثنين .. مدى ثمانية أيام على الأقل !

السيز : (بحزن) ننسى ...

كلينوف : هيا ! هيا ! اتركى هذا الحزن ! ابتسمى ... فابتسامتك ولاشك هى الشيء الوحيد الذى يبعث الى نفسى السرور .

السيز : (بعد برهة) جيرار ... هيا بنا نعود .

كلينوف : ولماذا ؟

السيز : عذه الرحلة ، اى سعادة تمنحها لنا ، ونحن هكذا يرفرف علينا ...

كلينوف : (وهو ينظر اليها) هذه ثانى مرة تطلبين فيها الرجوع . ما الباعث لك على ذلك ؟ ...

السيز : لا لشيء الا انى تعبة .

كلينوف : تعبة ؟ بعد شهرين ... شابة صغيرة مثلك ، ترى لأول مرة فى حياتها نواحى جديدة من العالم ... هذا غريب .

السيز : انى لا أفهم ذوقك فى السفر ، ياجيرار . أنت لا تريد أن ترى شيئا مطلقا ... لا الريف ، ولا المدن ، ولا الناس . تلازم الغرفة كعادتك فى المنزل . وايضا لا تريح نفسك ! فلماذا تفضل اذن غرف الفندق على غرفة مكتبتك الخاصة ؟

كلينوف : انا هنا مجهول مضيع بين الناس ، وهذه هى

الراحة . لا احد يعـــرف أين أنا ، فيمكننى ان اشتغل بهـــدوء دون أن يزعجنى خصـــومى أو المعجبـــون بى ... مقـــالاتهم فى الصحف ، حمـــلاتهم ، دفاعهم ... اى لذة فى أن يكون الانسان بمامن من كل هذه القلقات ! ثم محاضراتى فى الجامعة ! ذلك المجهود اليومى فى ان اعيـــد ببلاهة نفس أفكارى أمام جمع من السذج ! ... اتظنين ذلك هينا ؟ ان ذلك يضجرنى أحيانا لدرجة انى احشو محاضرتى بآراء غريبة ، خاطئة وغير معقولة . وحينئذ ، اسمع همسا فى الصالة : « اى عبقرية ! » (ضاحكا) واها من الخليقة الانسانية . .

الـــيز : (بعد برهة صمت) ومع ذلك فهناك شخص يعرف مقـــرنا .

كلينوف : من ؟

الـــيز : فيـــديل .

كلينوف : فيديل ؟ ... وكيف عرف ... ؟

الـــيز : انا كتبت له .

كلينوف : (وقد فقد تمالك نفســـه) انت كتبت له ؟ ... متى ؟ ... ولماذا ؟ وكيف جرؤت ؟ ...

الـــيز : (مندهشة) جيرار ، الهذه الدرجـــة يثـور غضبك ! ... انى آسفة لمخالفتى لك ، ولكنى لم أكن أدرى انك تريد الاختفاء عن الناس جميعا .

كلينوف : ولم فعلت ذلك ؛ اذن ؛ دون ان تخبريني ؟

السيز : الحقيقة ؛ انى لم أر اهميه لاخبارك !

كلينوف : ماذا كتبت له ؟ اريد ان اعرف . تكلمى . سريعا (وقد تمالك نفسه) . كلا . لا تجيبينى ... لا اود معرفه شيء ... هذا لا يهمنى . ان لك الحق أن تكتبى ما تشائين ولمن تشائين .

السيز : ساخبرك ... ليس فى الأمر سر . كنت وعدته أن أطلعه على كل ما يحدث لى . ولما كان سفرنا سريعا ومفاجئا ؛ لم أتمكن من اخباره بزواجنا . وعلى ذلك فقد كتبت له بما حدث ... كيف انك أردت حمايتى من أبى وكيف كنت بى رفيقا . هذا كل شيء . ولكن البارحة صباحا وصلنى منه خطاب غريب ...

كلينوف : منـــه ؟

السيز : نعـــم .

كلينوف : البارحة صباحا ؟ ولم تخبريني ؟ ...

السيز : اردت ان أطلعك عليه ، ولكنك لم تكن قد صحوت من نومك حينما استلمته . وبعد ذلك ... سهى علىّ . ها هو . اقرأه اذا اردت (تخرج خطابا من جيبها وتقدمه له) لا أفهم مطلقا ماذا يريد ان يقول ...

كلينوف : (يأخذ الخطاب ، يتردد ، ثم يلقيه على المنضدة)

احتفظي بأسرارك لنفسك . لا أريد ان اغتصب نقتك . هذا معناه انى أعطيك مثلا سيئا فيه فسخ لما اتفقنا عليه ... واظنك تذكرينه جيدا ، اليس كذلك ؟ أفكارك ملك لك ، اما افعالك فهى ملك لى.

اليز : ولكنى أنا التى أمنحك ثقتى اختيارا ! ليس لى صديق خير منك . كما انه ليس لدى ما اخفيه عنك . ومع ذلك ، فكل ما كتبه لى هو : (تقول ذلك عن ظهر قلب) « استلمت خطابك . اشكرك على ما اخبرتنى به . اريك قيديل » . لا كلمة غير ذلك ! هذا غريب ، اليس كذلك ؟ (بصوت حزين) اذا لم يكن لديه ما يخبرنى به ، لماذا اذن كتب لى ؟

كلينوف : (يسير وهو يصفر خفيفا ، ثم يقف فجأة) اوف ! ما أشد حرارة اليوم ! الشمس لا تطاق . ماذا طلبت منى ؟ معنى هذا الخطاب ؟ ... وكيف يمكننى أن أعرف ؟ يوما ما ، عندما ترين هـــذا السيد ، سوف تعرفين بلا شك (يذهب الى باب الشرفة) ان الانسان يكاد يختنق .. يختنق ! .. غدا ، سوف نرحل الى الشمال ، ياأليز ... ربما الى مقاطعة بريتانى . ساريك هناك نواحى من جمالها البكر ! كونى على استعداد ، غـــدا فى الصباح البـــاكر . سأذهب الى نزهتى الآن ،

فى الظل ؛ وراء المنازل ؛ لا أدعوك معى . أعدى أنت لنا معدات السفر .

السيز : سنرحل مرة أخرى ، ياجيرار ؟ ولكن لماذا ؟ نحن هنا فى مكان جميل جدا ؛ الهواء صحى ومنعش ! أننا نمضى طول الوقت فى القطارات .

كلينوك : (مختصرا الحديث) أن موسيقى الكازينو هى التى تضايقنى . الى اللقاء بعد برهة (يخرج) .

السيز : (تنظر اليه وهو خارج هازة رأسها) الى اللقاء (تأخذ خطاب ثديل من على المنضدة لتعيده الى جيبها ، تتردد ثم تعيد قراءته . تقبل الخطاب فجأة . تبقى سابحة فى أفكارها ، ثم تبدأ فى سماع الموسيقى الآتية عن بعد وهى تتابع النغم برأسها تتنهد بغتة ، مادة ذراعيها بحركة تدل على الضيق والحسرة) الحياة ... الحياة ... (يسمع دق على الباب) من الطارق ؟

خادم من الفندق : (يدخل ومعه بطاقة زيارة) هذا السيد يسأل ما اذا كانت السيدة تسمح بمقابلته ؟

السيز : سيد ؟ ولكنى لا أعرف أحدا هنا ... (تقرأ الاسم الذى فى البطاقة) رباه !

(تضطرب بدرجة انها تنسى ان ترد على الخادم)

الخادم : هذا السيد ينتظر تحت .

اليز : نعم ، نعم ... قل له أن ... دعه يصعد ، من فضلك .

الخادم : أمرك ياسيدتى (يخرج) .

اليز : هذا مستحيل ... هذا مستحيل .

(يدافع من العريرة السوية ، تسرع الى المرآة كى تنظم شعرها ، ثم تنتظر وهى فى حالة اضطراب شديد .

قنديل : (يدخل) صباح الخير ، ياأليز . اشكرك على سماحك باستقبالى .

اليز : ولكنى لم أفق بعد من ذهولى لرؤيتك هنا ! كم أنا سعيدة ! متى وصلت ؟

قنديل : هذا الصباح .

اليز : هذا الصباح ؟ ولم تحضر لنا لرؤيتنا ؟

قنديل : لقد انتظرت اللحظه التى أجدك فيها منفردة . وحالما رأيت جيرار يخرج ...

اليز : (مندهشة) كيف ؟ الا يجب أن يعرف جيرار انك هنا ؟

قنديل : سيعرف جيدا .

اليز : (وهى تنظر اليه) أنت تقول ذلك ... بلهجة غريبة . اذن فانت لم تات الى هنا ... محض مصادفة ... فى أثناء مرورك ... ولما علمت بوجودنا ...

قنديل : لقد أتيت الى هنا لأحادثك .

السيز : لتحادثنى ؟ ... وهل قمت بهذه الرحلة الطويلة لا لشيء الا أن ... ؟

تيديل : نعم ، لا لشيء الا أن أقول لك انى أحبك ، ياأليز .

السيز : (وهى تعتقد انهـــا فى حلم) أنت ... تحبنى ! اوه ! ... هذا لا يمكن أن يكون حقيقة ...

تيديل : يقينا ، أنت محقة فى ارتيابك ، اذ كنت شديد الحماقة فى تصرفى . دفعتنى انانيتى الى البقاء بعيدا عنك فى اللحظـــة التى كنت فيها فى أمس الحاجة الى . كان ذلك أسوأ جزاء لتقتك بى . حينما قصصت على قصة حياتك ، نسيت انك انت الجديرة بالرثاء ... لم أفكر الا فى غرورى . اغفرى لى ، يا أليز ... لست سوى رجل كباقى الرجال ، لا أفضل ، ولا أســـوأ . لقد عوقبت بقسوة ، انا نفسى ، حينما أدركت كل الضرر الذى سببه تحرزى وترددى ...

السيز : (وهى تكاد لا تعرف كيف تتكلم من الفرح) أنا .. أنا ... التى التى يجب ان تغفر لك فى اللحظة التى تمنحنى فيها هذه السعادة المفرطة !

تيديل : (وهو يأخذها بين ذراعيه) عزيزتى ، عزيزتى اليز . كنت أعرف ... كنت آمل ... أنت أيضا تحبيننى ؟ قولى ذلك ... فكم أكون ســـعيدا بسماعه من فمك ...

السيز : أحبك ... منذ أول مرة رأيتك فيها ... كلا ،

بل كنت أحبك دائما ... أعتقد أنى كنت أحبك قبل أن اعرفك ... وحبك هو الذى امدنى القوة على أن أحيا وأجتاز اقسى العقبات ... (مسندة رأسها على كتف فيديل) نعم ... نعم ... كنته ارى السعادة عن بعد ... ولكنى ما كنت آمل الوصول اليها .

فيديل : (وهو يضمها الى صدره بحنو) مسكينة ياصديقتى الصغيرة ... انس كل شىء ! انس انك تألمت ... حتى ما سببته انا لك من شقاء . سأحميك من كل آلام الحياة ! احبك ...

اليز : (مغلقة عينيها) لو كان فى امكانى أن أموت الآن .. هنا .. بالقرب منك .. هيهات أن أعيش لحظة اشعر فيها بمثل ما اشعر به الآن من سعادة .

فيديل : أتذكرين الموت فى نفس اللحظة التى نبدأ فيها الحياة ، فى اللحظة التى بدانا نشعر فيها ان حياتنا لم تعد عبثا ، ما دمنا متحابين . ان الحب هو المعجزة التى ننتظرها جميعا ، هو الاحجية التى تفسر لنا الحياة . اريد أن احيا ، ياليز ، احيا وأبدع ... اشعر أن العالم ملك يدى ... لأنى احبك .

اليز : استرسل فى حديثك ... دعنى اسمع صوتك .. قل لى ثانيا انك تحبنى ! لأنك حينما تسكت ،

يخيل لى أن كل ذلك ما هو الا حلم ...

قنديل : وأنا أيضا ، كنت احبك دائما . أحببتك لأول مرة رأيتك فيها ... عندما أعطيتنى يدك ، تلاقت عيناك بعينى وابتسمت لى ابتسامة سريعة خجول ... اليز ، ان لك عينى قديسة ؛ حينما ينظر الانسان الى عينيك حتى القرار يجد نفسه مساقا الى حبك ، هما عذبتان كدمعتين ...

اليز : قبلت يدى ، فى ذلك اليوم (وهى تشير الى يدها) هنا ... مكان قبلتك ! لو تعلم كم مرة منذ تلك اللحظة وضعت أنا شفتى مكان شفتيك . .

قنديل : (وهو يقبل يدها) أيتها اليد الصغيرة العزيزة .. اليز ، قولى انها لى .

اليز : (وهى تمد له يدها الأخرى) كلى لك !

قنديل : طول الحياة ؟

اليز : طول الحياة .

قنديل : اذن اتبعينى ! لا تضيعى دقيقة واحدة . الأفضل ان نرحل قبل عودة جيرار .

اليز : (وهى كمن يصحو فجأة) أتبعك ...

قنديل : أنت تثقين بى ، أليس كذلك ؟ اذن أسرعى دون سؤال . ليس من واجبك أن تبقى مع جيرار . ان لى الحق أن آخذك من هنا . ولكن اسرعى ! فى الطريق ، سأقول لك كل شىء ...

اليـــز : ولكن جيرار ... ! اأتركه وحيدا هنا !

فيـديل : (وهو يختفى ضياع الوقت) اليز ... عزيزتى الصغيرة ... اتبعينى ، يجب أن تتبعينى ... لا تضيعى الوقت .

اليـــز : سأتبعك طول الحياة ، ياأريك . ولكن لماذا تريد ان اهرب من هنا ؟ لا ضرورة لذلك . ان جيرار لم يتزوجنى الا ليحمينى من أبى ... لقد كسبت لك بذلك . هو يعطـف على ، لكنـه لا يحبنى ... سوف يمنحنى حريتى فى الحال ...

فيـديل : (مترددا) يؤلمنى ان أحطم ثقتك بجيرار . كان يسرك أن تثقى بطيبته ... لقد خدعك ، ياأليز .

اليـــز : خدعنى ! ... جيرار خدعنى ؟ فى اى شىء ؟ انا لا ارى شيئا من ذلك .

فيـديل : فى نفس اليوم الذى رحلتما فيه ، كنت قد ذهبت لافول له انى أحبك وانى اريد الزواج منك .

اليـــز : (وهى لا تقدر على تصديق ما سمعت) جيرار اذن كان يعلم فى ذلك اليوم انك ... ؟

فيـديل : وقد رفض بفظاظة ان يتركنى أراك . وفى الغد ، عندما عدت على أمل ان أجدك منفردة ، اعطتنى مارى ورقة منه ، يعلننى فيها انه قد قرر الزواج منك ليمنعنى أنا ، من الفوز بك .

اليـــز : (مضطربة) هذا غير ممكن ...

فيديل : ولهذا حينما تسلمت خطابك ، فهمت اى خدعة قد دبرها ليحملك على قبول هذا الزواج . دناءة لا يصدقها العقل ! لقد ادخل فى روعك أنه لا يزال لأبيك حقوق عليك ...

اليز : ادخل فى روعى ؟ أليس هذا حقيقة .

فيديل : كلا . ولو كنت سالتنى ، لأجبتك : انه فى اليوم الذى تبلغين فيه . سن الرشد ، لا يبقى لأبيك عليك أى سلطه .

اليز : (مثقلة) اذن ... كل ما قاله لى جيرار ... كان كذبا ؟ يكذب على ! هو ؟ هذا شىء لا يصدقه العقل ... يا الهى ، لم فعل ذلك ؟

فيديل : احقا ، أنت لا تحزرين السبب ؟

اليز : كلا ... كلا ... قله لى !

فيديل : لانه يحبك ... وما انه لا يامل قط ان تقابلى حبه بحب مثله ، فقد اخذك بهذه المكيدة .

اليز : هو يحبنى ؟ ... جيرار ! ... أوه ! الآن ، أنا واثقة بانك مخطىء .

فيديل : كيف ، امن الممكن انك كنت تجهلين ؟ هذا شىء لا يخفى على أحد ... انه يقرا فى العينين ... (مترددا) يحس به فى الملاطفات ... حتى ما كان منها مصدره الود البريىء !

اليز : انى انا التى أقبله فى جبهته عندما اقول له سعدت

صباحا او الى اللقاء . وهذا كل شيء . ابدا ، لم يات بحركة ، لم يفه بكلمة ، افهم منها انه ... كلا ، انت مخطىء ... انه لا يحبني (فجاة) ومع ذلك ، فاذكر الآن ... انه مـــرة ... (تبقى مفكرة) .

قيـــديل : هيا معى ، ياأليز ! لقد ارتكب جريمة دنيئة نحونا نحن الاثنين ... ســـلبك حريتك ، وسلبنا سعادتنا ...

الـــيز : (وقد عاودها اضطرابها) ولكنه رجل مريض ... يتألم . عيناه ... أمن حقى ان اتركه هكذا ؟

قيـــديل : (متمجبا) أما زلت مترددة ، ياأليز ! الا تشعرين بالسخط عليه عندما تفكرين فى خداعه ، فى كذبه، فى اساءته البالغة الينا نحن الاثنين ؟

الـــيز : لا يمكننى أيضا أن انسى أنه احسن الى كثيرا .

قيـــديل : (وقد اعتراه اليأس فجاة) مسكينة ابنتها الصغيرة الضعيفة ! ... اذن ، ليس لدى ما أقوله سوى ان عليك ان تتبعى قلبك ، ياأليز .

الـــيز : أوه ! ليتنى أجرؤ .

قيـــديل : صدقينى ... ان لك الحق الف مرة فى استرداد حريتك باية طريقة . بل ان ذلك من واجبك ... نحو نفسك ونحوى أنا !

اليز : ما دمت واثقا من ذلك كل الوثوق ... حسنا .. ساتبعك .

شيديل : الحمد لله انك فهمت ! اسرعى ، اذن ... خذى معك حقيبة . سنعود دون تأخير . أتسممين هذه الكلمة ، ياأليز ؟ سنعود ! الى عشنا ، عشنا نحن الاثنين ... ياعصفورتى الصغيرة التى أحبها كثيرا ...

اليز : أن سعادتى لا حد لها . انها تخيفنى . قالت لى امى يوما ، ان أفراحنا مهما كانت ضئيلة ندفع ثمنها غاليا ...

شيديل : (مشغولا بالدقائق التى تمر) اسرعى ... اسرعى ...

اليز : (وهى تخرج من « الدرج » حقيبة سفر صغيرة ، وتفتحها) لا ، لن آخذ هذه . لقد اعطاها لى جيرار ... كان قد نقش اسمى على كل ما بها من أدوات ... (تقف ساهمة) وكان سعيدا بذلك كل السعادة .

شيديل : (بشدة) اتركيها . اتركى كل شىء . سنجد فى الطريق كل ما يلزمك .

اليز : اريك ... أى شقاء لو كنا قد ظلمناه ! ...

شيديل : انا لم أتهمه جزافا . لقد كنت مثلك مخدوعا فيه . جيرار كان صديقى الوحيد .

الـــيز : ... او اذا كان حقا يحبنى ! اى قسوة من جانبى فى أن اهجره هكذا ! اريك ، أرجوك ... لننتظر رجوعه ! ساقول له فى صدق واخـــلاص انى ساتركه . مهما كان قد فعل ، فله الحق فى ان يدافع عن نفســه .

ڤيـــديل : اليز ، اذا كنت تريدين انتظـــاره ، فليس لى أنا الا أن أذهب . لن تمضى خمس دقائق على رجوعه حتى يكون قد اغراك بالبقاء . انه ماهر جدا فى أن يغير كل شىء ... سيصير الأســـود ابيض : سيتلاشى أثر أكاذيبه ... اليز ، هيا بنا ، أتوسل اليك ! انت ، بهذه الوداعة ، بهـــذا الضعف ، لا يمكنك أن تقفى فى صراع امامه .

الـــيز : لن يكون هناك صراع . سوف ترى بنفسك . سيمنحنى حريتى عن طيب خاطر ، أنا واثقة من ذلك . انظر ... ها أنا استعد للرحيل معك ... ها أنا على تمام الاستعداد ... (تلبس قبعتها ومعطفها . برهة صمت . تتقدم نحوه) اريك ، قل لى مرة اخرى انك تحبنى . أنا فى حاجة الى القوة التى تبعثها فى هذه الكلمة .

ڤيـــديل : (وقد اخذ يديها بين يديه ، مربتا عليهما) انت ترتجفين !

الـــيز : اخاف من رؤيته تعيسا بعد رحيلى .

فيـــديل : لا ، لا ، لن اتركك تنتظرينه . هيا ، ياأليز ، قبل ضياع الفرصة .

الـــيز : (تتسمع) هو ... نعم هو ! كلا ... ان الخطوات تبتعد ... (بعصبية) أريد أن يأتى الآن . هذا الانتظار مؤلم جدا . اريك ، لا تقلق . ساتبعك . ان الحياة نفسها لم تعد لها قيمة عندى . اذا ما حيل بيننا ، فلن اعيش بعدها ، الآن وقد علمت انك تحبنى .

فيـــديل : انت غاية فى الضعف وهو غاية فى القوة .

الـــيز : ولكنك هنا الى جانبى (تتسمع ثانيا) فى هـذه المرة ، انه هو ... نعم ...

كلينوف : (يدخل . وحين يرى فيديل يقف عند الباب ، برهة صمت طويلة . يذهب ببطء ويعلق قبعته على المشجب . ثم يقترب من فيديل وينظر اليه لحظة قبل أن يتكلم) لقد كنت سريعا جـــدا ، ياصديقى .

فيـــديل : لست صديقك ...

كلينوف : أهنئك . انت سريع الحفـــظ ، فما زلت تذكر تعريفى للصداقة . لقد اخذت القطار اذن ، حالما وصلك خطاب اليز ؟

فيـــديل : وهل هذا يدهشك ؟

كلينوف : كانت سعادتك لا تقدر بوصول هـــذا الخطاب اليك ، هـ ؟

فيـــديل : لسوء الحظ ، لقد وصل متاخرا جدا عن أن يتيح منعك من خيانتك الوضيعة ... ومع ذلك ففى الوقت متسع لمنعك من جنى ثمارها .

كلينوف : يا لها من الفاظ منمقة : خيانة ... جنى ... ثمار ... على كل حال ، انا أقدر عواطفك . لو كنت مكانك ، لقلت وفعلت مثلك تماما . يسرنى أن أجد خصما يكاد يكون ندا لى ...

فيـــديل : لا تتخذ تلك اللهجة الساخرة ، ياجيرار . ان سرورك سوف يتلاشى ، عندما تهجرك اليز !

كلينوف : آه ! استهجرنى ؟ حقا ، كان يجب أن أتوقع ذلك ... (يسير وهو يصفر خفيفا ، ثم يقف امام اليز) أرى أنك قد ارتديت معطف سفرك .. والقبعة الزرقاء التى تناسبك تماما ! سعيدة أنت ايتها الصغيرة ... انى احسدك ! ما أسعد حظك فى أن تجدى فجأة سببا للفرار ... وحبيبا تفرين معه ... ولا أحد يقف فى طريقك ! اذ ليس فى نيتى مطلقا أن افعل ذلك .

اليـــز : (وهى ترتعد) اذن كان حقا ، ياجيرار ؟

كلينوف : اى حق ؟

اليـــز : ما ... قاله لى اريك .

كلينوف : اريك ... آه ! أرى انك تنادينه باسمه الصغير ! كل تهانئى . سواء كان حقا أم غير حق ... ماذا

يعنيك من ذلك فى نهاية الأمر ؟ أنت تتوقين الى هجرى ... حسنا ؛ اتركينى ! وما سوى ذلك لا يهم كثيرا .

الـــيز : لم أرد ان اذهب قبل التاكد من أنى لم أتهمك ظلما بـ ... بانك ...

كلينوف : (مقاطعا) آه ! انت كالقاضى قبل تنفيذ الحكم : يريد أن يتخذ من اعتراف المجرم ما يجفف عرق القلق عن جبينه . حسنا ! سأريح ضميرك . دون ان اعرف تفاصيل ما قصه عليك حبيبك اريك ، أقول لك : ثق به . انه معتاد ان يقول الصدق . هذا وراثى فيه . لقد كان أبوه موثقا ، والموثقون قلما يجرؤون على الكذب . الوثائق دائما موجودة لاثبات الحقيقة . اذن ، فلتكن لك كل الثقـــة بحبيبك اريك . قد يكون فى حديثـــه شىء من المبالغة ، بفضل ما له من طبيعة الفنان المبتكر . ومع ذلك ، فالصفات التى ينعت بها عملى مثل : دنىء ، سافل ، وضـــيع ... الخ ، تكاد تكون فى موضعها .

فيـــديل : ما دمت أنت نفسك تنعت عملك بهذه الصفات ، لو كنت مكانك ، لتدبرت الأمر قليلا قبل الاقدام على مثل هذا العمل !

كلينوف : فى الواقع ، أنت دائما تحب تقليب الراى على كل

وجوهه لتعرف ما له وما عليه . ليز قد سنحت لها الفرصة لتقدر عدا الحاجب من اخلاقك .

فيـــديل : لقد كنت صادقا معها كل الصـــدق . وحتى لو كنت فى أشد الحاجه الى ارتكاب جريمة مثل جريمتك ، لما سمحت لى نفسى بذلك .

كلينوف : وتدعى انك تحبها ؟ مدهش ، عاطفتك ضعيفة وسهلة القياد الى هذه الدرجة .

فيـــديل : أعرف جيدا ان عاطفتك تفوق فى قوتها عاطفة عامة البشر ! نعم ... واعرف ايضا أن اللص اقوى رغبة فيما بيد غيره من الرجل الشريف ... هذا عذره أمام نفسه !

كلينوف : انت تتصيد عذرا لى ؟ هذا ظريف منك . ولكن لا تجهد نفسك . ان أعمالى لا تهم سواى . احكم عليها كما تشاء . ان لك نفسا صالحة ونبيلة ، يا اريك ... صالحة لدرجة انك تسخط رافعا عينيك الى السماء حينما يتعدى غيرك تلك الحدود الضيقة لما يعتبره اصحاب التقاليد شرفا . أعرف هذا الوباء من الغيرة على الشرف ! الواحد منكم يحكم على الآخرين قياسا على « ما ليس فى امكانه هو أبدا ان يفعله » ؛ وهكذا تعمرون الجحيم بالنفوس الكبيرة ... لتخلو الجنة لك ولأمثالك من العامة ... بوف ! عد الى عندما يتسع افقك .

حينما تدرك حق الادراك ، من مزالق الاغراء التى تزل فيها قدمك أنت ، ماهية الضعف البشرى .. حينئذ قد يمكننا أن نتحدث ! ليس الآن .

فيـــديل : اننى وقد عرفتك الآن حق المعرفة ، ياجيرار ، افهم مذهبك هذا فى التسامح والتحرر ... انها محاباة للنفس وليدة الانانية . ومع كل ، فلم اكن انا الذى اردت محادثتك . لقد طلبت الى اليز أن ترحل معى ، قبل رجوعك . وهكذا كنت أكون قد انتقمت على طريقتك ... عندما تعود فتجد عشك خاليا . ولكنها لم ترد . ارادت ان تسمع دفاعك .

اليـــز : جيرار ، لماذا خدعتنى ؟ ما الذى دفعك الى ذلك ؟ انى فى شدة الحيرة . لم أعد أعى شيئا ... كنت ارى فيك رجلا اسمى من الجميع ! والآن ، ارى نفسى مضطرة الى الاعتقاد انك قد ارتكبت نحوى اساءة بليغة ... وهذا ما يؤلمنى أشد ايلام . لماذا فعلت ذلك ؟

كلينوف : انا لم أرد يوما ما ان يقدرنى الناس بأزيد مما أستحق . لقد قلت لك ذلك مرارا . يمكنك أن تحكمى على كما يعجبك . الحكم الذى ترتاح اليه نفسك . ان عقلك ، عقل المراة الصغير ، فى حاجة الى جهد كبير ليفهمنى . زيادة على ذلك ...

فان مرافعة للدفاع عن عمل ممقوت كهذا ...
فى حاجة الى بعض الوقت ! وها أنا اراك ، وقد
تزينت اجمل زينة ، على تمام الاستعداد للحاق
بحبيبك اريك الى السماء ! اذهبى ، اذهبى .
لا تضيعى الوقت ! قد يندم أحدنا فجاة ...

فيـــديل : اسمعت ، يا اليز ... لقد فهم جـيرار أن من
واجبه أن يرد اليك حريتك بمحض اختياره .

كلينوف : أنا ... ارد لها حريتها ؟ أنت ساذج ، ياعزيزى.

فيـــديل : لقد صرحت بذلك من لحظة . ولكن قد يكون ذلك
دهاء وخداعا ... كباقى اقوالك .

كلينوف : يمكنها أن ترحـل حينما تريد . أنا لا أمنعها .
لكنها مرتبطة بى ... قانونا .

فيـــديل : وفى نيتك اساءة استعمال حقك هذا ؟

كلينوف : سمه اساءة استعمال ... اذا كان هذا يخفف
من حنقك .

فيـــديل : أنت تتلذذ بهدمك لسعادتنا ... بأسرك أليز رغم
ارادتها ... تريد أن تنتفع الى النهاية بنتيجـة
مؤامرتك .

كلينوف : (لا يجيب . يسير على مهل ، مفكرا وهو يصفر
خافتا . ثم يقف أمام اليز) أوافق على منحك
كامل حريتك ... على شرط واحد .

فيـــديل : وما هو ؟

كلينوف : (دون أن يرد على فيديل) اتوافقين على هذا الشرط ، ياالير ؟

السيز : أى شرط ، ياجيرار ؟

كلينوف : اوه ! شيء لا أهمية له ... لا أطلب الا ان تخرجى من هنا بعد ساعة واحدة من انصراف اريك . عندى ما أقوله لك ... على انفراد .

فيديل : فهمت ! فحالما تنفرد بها ، تسنح لك الفرصة كى تغريها بالبقاء .

كلينوف : السنت واثقا من قوة تأثيرك على حبيبتك ؟ يخيل لى ان هذا شيء يؤسف له . حسنا ، تروبا فى الأمر . أنا لست متعجلا . ولكن هذا هو شرطى .

السيز : (مترددة) أود أن أسمع ما يريد أن يقوله لى جيرار . اتركنا وحدنا ...

فيديل : (بتأثر) لا تطلبى منى ذلك ! لا أجرؤ على تركك.

السيز : ولكن ما دام هو يحتم ذلك ! بعد ساعة من انصرافك ، سألحق بك . قل لى اين أجدك .

فيديل : كلا ، كلا ! سوف لا يكون الصراع عادلا .

السيز : ولكن سوف لا يكون هنالك صراع بيننا ؛ ما دام سيمنحنى حريتى .

فيديل : سوف يثبط من همتك . حينما أرحل ستتسرين عزلاء أمام ارادته الوحشية .

السيز : لقد علمتنى الحياة كيف أدافع عن نفسى ! وهى تنظر الى جيرار) حتى فى مواجهتك انت ،

ياجيرار ... أوه ! كل هذا مؤلم ، شديد الايلام ! يجب أن يوضع له حد (الى ڤيديل) لا تخش شيئا من تركى وحيدة . انتظرنى . سوف الحق بك (وبصوت منخفض) لأنى احبك .

كلينوف : اسمعت ؟ لا يوجد ما تخشـــاه . مسكين أنا ، كالطفل بلا درهم أمام الفطائر الشهية فى حانوت الحلوى . يقف مكتوف اليدين ، يتحلب ريقه حسرة عليها .

ڤيـــديل : سانتظرك فى المحطـــة . أى انتظـــار قاس ، يا اليز ! ... ساعة ، ساعة فقط لا أزيد عليها دقيقة . عدينى بذلك .

الـــيز : أعـدك .

(ڤيديل يتردد كأنه يريد ان يقول شيئا . لكنه يعدل ثم يخرج كلينوف يـــيز مفكرا برهة من الزمن . اليز تتبعه بعينيها) .

كلينوف : لم تنظرين الى هكذا ؟ أحرى بك أن تنظرى الى ساعتك . فقد تنسين الميعاد .

الـــيز : ماذا تريد أن تقول لى ، ياجيرار ؟

كلينوف : أسائل نفسى كيف أبدأ هـذا المنظر الدرامى . ايجب أن اركع أمامك ، طالبا العفو مقسما على التـوبة ؟

الـــيز : عيناك تنمان عن شدة الحزن ، ياجيرار ؛ وهـذا ما يؤلمنى رؤيته .

كلينوف : آه ! أنت تشفقين على ؛ هذا ظريف . لكن لاشك أن حبيبك اريك لا يسره ذلك . فكرى مليا فيما فعلت ... فياخذك الغضب . لقد سلبتك شهرين من السعادة المثملة ... شهرين معه فى الجنة ... بدل صحبتى التى لا تحتمل . ولو لم تمنعنى زيارته المفاجئة لبقيت مستمرا فى سلبى لسعادتك ... أشهرا ... سنة ... ربما ازيد ! لابقيتك سجينة ، بعيدة عن الجميع ، مختفية فى بلاد مجهولة ، شريدة من مكان الى مكان لاحتفظ بك لنفسى ... ملكى ، ملكى ، متاعى ، جاريتى ... الى اليوم الذى حددت فيه موتى .

اليز : ولكن لماذا ، ياجيرار ... لماذا ؟ أممكن أنك انت ...

كلينوف : (وهو ينظر اليها) ايتها الممثلة الصغيرة ، خل عنك !

اليز : ماذا تعنى ؟

كلينوف : (بعنف) أعنى انك تكذبين .

اليز : اكذب ؟ ... ولكن فى اى شىء ؟

كلينوف : كيف ؟ اتريدينني ان أعتقد انك أبدا لم تتعرى .. لم تفهمى ...

(يصمت ويسير فى الغرفة) .

اليز : تكلم اذن ، ياجيرار . ها أنا أصغى لافهم ...

كلينوف : نعم . ايتها الكاذبة ! انت لا تجرؤين على الاعتراف

بانك كنت ترين ما كان يجول فى نفس . امرأة باردة قاسية القلب ! كنت ترين عذابى يزداد يوما بعد يوم ؛ وكنت أنت يافاقدة الشعور تلهبين هذا العذاب بما يظهر عليك من البراءة وعدم الفهم . سمنى آخر الجبناء لأنى لم أنتقم لنفسى من قسوتك ، لأنى لم آخذك بالقسوة فأجعلك تقاسين نفس ما أقاسيه من عذاب .

السيز : جيرار ، ابدا ... أبدا لم أرتب فى شىء من ذلك ! اقسم لك ...

كلينوف : أتتصورين أنى اصدقك ؟ قليل من الذاكرة ، يازنبقتى البيضاء ! تذكرى ماضيك ... هناك شىء يسمونه رغبة الرجل ! تذكرى ايضا ماذا حدث فى المرة الوحيدة التى أفصحت فيها عن عواطفى وبحثت شفتاى تطلب فمك . اظن انك لم تفهمى ذلك ايضا ، هيه ! وكذلك لم تفهمى معنى ذلك بالنسبة لى ... عندما قفزت كما لو كان قد لدغك ثعبان !

السيز : حقيقة ... أذكر ... فى تلك الليلة ... شعرت فجأة بالخوف منك . أعرف أنى كنت فى قبضتك ... لو كنت قد أسأت استعمال قوتك ، أنت أيضا ...

كلينوف : كان يجب ان أفعل ذلك .

كلينوف : أظن أن ما أريد أن أقوله واضح . اننا نملك على الأقل هذه الترضية البسيطة : وهى أن فى قدرتنا نحن انفسنا أن نضع حدا لآلامنا حينما نريد .

الـــيز : (مرتاعة) جيرار ... اهذا تهديد ؟

كلينوف : كيف يكون تهديدا ؟ ان اللحظة التى تجتازين فيها عتبة هذا الباب ، هى آخر لحظة يرى فيها كل منا الآخـر ، أليس كذلك ؟ هـــذا على الأقل ما تأملينـــه . اذن ، ماذا يؤثر عليك اذا كنت ساعيش أو أموت ؟

الـــيز : (شاحبة) تريد أن تقـول انك ... انك ... تنوى أن ...

كلينوف : هذا مفهـــوم ! شىء منطقى . كيف اعيش يوما واحدا بعد رحيلك ؟ ان الرجل الذى يحرم النور والهواء يموت . وأنت لى الهواء الذى أستنشقه و ...

الـــيز : ولكن هذا ... هذا ... جيرار ، انك تريد أن تخيفنى !

كلينوف : المصيبة ليست كبيرة الى هذه الدرجة ، ياصغيرتى ، بضعة أشهر ازيد أو اقل . على كل حال ... عندما اصير اعمى ، ساتخلص من حياتى . فانت ترين أنه سواء كان ذهابك أو ذهاب بصرى هو ما سوف يسبب موتى ، فهذا لا يغير الموقف كثيرا .

الـــيز : (وهى تكاد تبكى) ولكن الانسان لا يمكنه أن يفعل ذلك ... هذا مستحيل ... هذا ... رباه ، ماذا أفعل ؟ آه ! أنت تعرفنى جيدا ، ولذلك فانت واثق ... ان هذا يفوق طاقتى ... أوه ! جيرار ، قل أن ذلك ليس صحيحا . لا تدعنى أخرج من هنا تحت هذا العبء الثقيل ... ليس فى استطاعتى ان أحتمله . رد لى حريتى ! ليس من حقك ان تهددنى بمثل هذه القسوة بعـــد ما فعلته بى ... اليس كذلك ؟ أنت تريد أن تهددنى لتجبرنى على البقاء ... اعترف بذلك ! ولكن ، حينما اقول لك انه يجب أن ارحل ، لماذا تريد اذن أن تهدم كل ســـعادة لى ؟ ليس فى استطاعتى البقاء ، افهم ذلك جيدا ... يجب أن اذهب .

كلينوف : تقولين ، يجب ! ما الذى يضـــطرك اذا لم يكن محض ارادتك ؟ تأكدى أن حبيبك اريك شخص رزين جدا فسوف لا يلقى بنفسه يائسا تحت عجلات القطار .

الـــيز : ليس هذا ما أخشاه . انه يحبنى كثيرا فلن تبلغ به القسوة مثل ما بلغت بك .

كلينوف : (وقد أمسكها فجأة من ذراعها) ماذا تقولين ؟ تقولين انه يحبك اكثر منى ؟ انت مخطئة ، أيتها

كلينوف : قلت نعم ؟ (اليز تشير بحركة خفيفة من رأسها علامة القبول . كلينوف ينهض ، يريد أن يأخذ يدها ، لكنه عندما يرى تجهم وجهها وجموده ، يتركها قائلا فى شىء من الوجل :) شكرا ، ياأليز .

اليـــز : (وهى لم تسمعه) انه الآن فى انتظارى ...

(فى الخارج ، تعود الموسيقى البعيدة الى عزف نغمة مرحة جـــذابة . كلينوف يقفل ببطء باب الشرفة فيصمت كل شىء) .

ســـتار

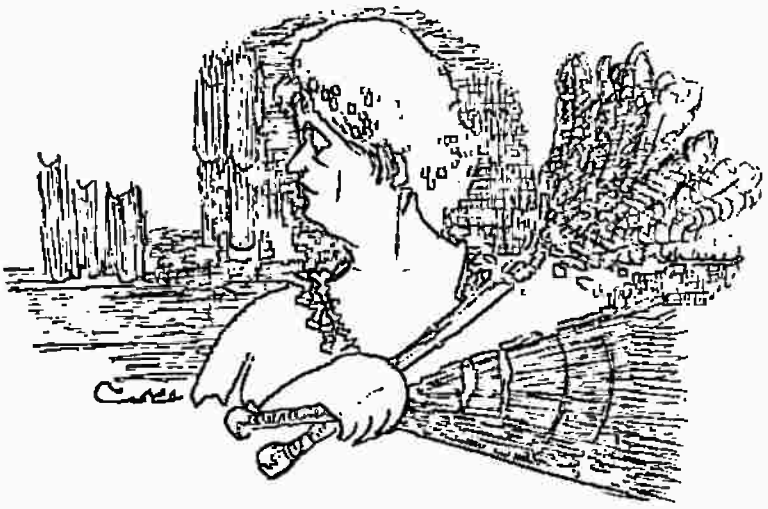

الفصل الثالث

مكتب الأستاذ كلينوف

ماري تقوم بالخدمة في الغرفة . يدخل كلينوف . حركاته بطيئة ومترددة كحركات الأعمى .

مـــاري : صباح الخير ، سيدي الأستاذ .

كلينوف : صباح الخير ، يامارى (ينـادى) اليز ! (الى مارى) أين السيدة ؟

مـــاري : لا تزال نائمة ، على ما أظن (كلينوف يذهب الى باب غرفة اليز ويتحسس الباب بيده باحثا عن المقبض ، لكنه يعدل عن رايه ويعود) قد يكون

الباب مقفلا بالمفتاح ... كالمعتـــاد (كلينوف لا يجيب بشيء . يجلس الى مكتبه واضعا راسه بين يديه) لا أخال السيدة تتعب نفسها فى شيء ... الساعة قد جاوزت التاسعة والنصف .

كلينوف : كفى عن هذه الغوغاء ... حسبك هذا اليوم..

مـــارى : (وقد آلمتها كلمته) كما يريد سيدى الأستاذ ... (تجمع أدوات الكنس والمسح) ... ولكنى كنت اود ان ارى مآل هذا المنزل لو لم أتكفل أنا بالخدمة فى كل شيء وفى كل مكان . على الأقل ، هل رايى فى محله ؟ هل اكون على صواب اذا ما قلت : عندما يصير المعوزون أســـيادا ، من أول يوم يظنون انفسهم أمراء أبناء أمراء .

كلينوف : حاذرى مما تقولين ، يامارى . قد لا اكون اليوم على استعداد لسماع سخافاتك .

مـــارى : ولكنى لن اطبق فمى بعد الآن ! لقد احتفظت بما فى نفسى زمنا طويلا . ان ما يدور هنا مخز ... مخز ! ان سيدى الذى كان ينبغى ان يعنى به ، ان يساعد ، ان يلاطف بكل ما هو جدير به من عطف وصبر ... حتى يكون له فى ذلك شيء من العزاء فى مصابه الكبير الأليم ... يلقى مثل هذه المعاملة العجيبة ! هى التى كان يجب ان تخـر ساجدة عرفانا بجميل سيدى الأستاذ الذى منحها

سعادة لا تقدر بان جعل منها زوجة شرعية له . . انظر بأى سخنة تسير هنا فى المنزل ! أوه ! ان ذلك يثير أعصابى ، مؤكد !

كلينوف : مارى ، حاذرى ! اذا نسيت مرة اخرى الاحترام الواجب عليك للسيدة ، فقد انسى انا خدماتك وأطلب اليك البحث عن اسياد آخرين لا يثيرون اعصابك الرقيقة .

مـــارى : حسنا ! اطردنى ! أعرف جيدا انها ستنتهى بالفوز فى ذلك ايضا . لقد كانت ماهرة جدا فى قيادتك الى . . . النهاية ، الى ما حصل . هذه الخدعة التى كانت تدبرها من وراء ظهرى . . . ان هذا هو ما لا يمكننى أن اغتفره لها . تدبر شيئا من هذا القبيل . . . دون أن يكون عندى أقل فكرة . . انا التى اعتنيت بها كام ! ومع ذلك فلو كانت أخلاقها الآن مرضية . . . ربما لم اكن لاقول شيئا . . . ولكن أنا التى أفعل كل ما يمكن فى العـــالم لتخفيف شقاء ســيدى . . . يغيظنى أن ارى ما يتحمله سيدى من أجل فتاة مثل هذه !

كلينوف : (بشدة) اغربى عن وجهى . . . وسريعا . . . لقد تحملت ما يكفى من لهجتك الخالية من الاحترام .

مـــارى : سأذهب ، سأذهب . لست فى حاجة لأن تكرر على مرتين انك لا تريدنى . واقســـم لسيدى

الأستاذ انى لا أحمل له فى نفسى اى موجده . كل الناس معرضون للخطأ . . . حتى سيدى الأستاذ . وليس على سيدى الا ان يشير الى فاعود الى خدمته حينما يدرك مقدار احتياجه الى . سيكون ذلك اسرع بكثير مما يظن سيدى الأستاذ . . . أريد ان أقول . . . انه اذا اتى اليوم الذى تكون فيه السيدة قد . . . آه ! كلا ، الأفضل ان لا أتكلم فى هذا الموضوع .

كليئوف : (مقطبا) عن اى شىء تلمحين ؟

مـــارى : لا شىء ، لا شىء !

كليئوف : (غاضبا) ألا تريدين ان تتكلمى ! انه ليزعجنى لهجـــة البوابين التى تلمحين بها عن أشـــياء لا تجسرين على التصريح بها .

مـــارى : (متألمة جدا) لا أجسر ! انا ! ومم اخاف ؟ على العكس ، انه ليسرنى أن اقول ما عندى ! أنا امرأة تحب الأشياء نظيفة ، وهذا ما يكاد يحـــرق شفتى . . . لأن ما اعرفه يثير نفسى ! . . . ان سيدى شخص أرفع بكثير من أن يتحمل ما يجرى هنا . . . انها تكتب رسائل تخفيها عن سيدى الأستاذ . منذ مدة تولدت فى نفسى الشكوك . والبارحة ، عندما عاد سيدى من الجامعة مبكرا عن عادته ، كانت على استعداد للخروج ، ولكنها

بقيت مع سيدى . ولذلك فقد أتت الى فى المطبخ وهى تلهث قائلة وقد اعطتنى خطابا : « ضعيه سريعا فى صـــندوق البريد ، ولا يجب أن يعلم السيد به (كلينوف لا يجيب بشيء . مارى ، وقد ضـايقها انها لم تجد لكلامها التأثير الذى كانت تأمله ، تستمر فى الكلام :) وكذلك ... فى كل مرة أحضر البريد لسيدى ، تسرع هى كالمجنونة لترى ما اذا كان هنالك شيء لها ، كلينوف مستمرا فى صمته) ... طبعا قرات البارحة فوق الظرف لمن كان الخطاب .. واذا أراد سيدى أن يعرف..

كلينوف : مارى ، قولى لى ... أانت تبيعين ثقة سيدتك لتشترى بها عرفانى لجميلك ؟ أم هو اباؤك الصادق الذى يدفعك للكلام ؟

مـــارى : كيف ؟ لا أفهم ...

كلينوف : آه ! هذا مهم جدا ! ان اساس الأشياء دائما جد غريب . فكرى وأنت ترين ... اهو اباء أم سعى وراء منفعة ؟

مـــارى : (ثائرة) منفعة ... أى منفعة ؟ هـــذا كثير أن تقوله لى ، أنا التى لا أفكر فى شيء سوى صالح سيدى وشرف سيدى ...

كلينوف : ومع ذلك وضعت الرسالة فى صندوق البريد ؟..

مـــارى : طبعا ، لأن ... (تسكت) .

كلينوف : لان ... ؟

مـــارى : (مرتبكة) لم اكن افكر فى تلك اللحظة أن . . .

كلينوف : (مقاطعا) لانك فى تلك اللحظة فضلت أن تنالى شكر سيدتك بخيانتى ، وبعد ذلك تنالين شكرى بخيانتها .

مـــارى : (وهى تبكى) لم يسبق لأحد أبدا ان خاطبنى بهذه اللهجة ، خيانة ! ايقال لى هذا بعد تفانى فى خدمتك ! . . .

كلينوف : أرايت كم قد يكون اساس الأشياء غريبا ؟ . . . انه غالبا من لون آخر مختلف كل الاختلاف عن لون السطح ، هيـــه ؟ . . . لا تبك ، ياعزيزتى مارى . انت تتكلمين وتفعلين تماما كما تفعل كل خادمة طيبة منذ عهد المسيح . تقلق . . . دون قصد سيء . هذا هو رايى فيك . ولذلك ساعطيك شهادة توصية طيبة عندما تبرحين المنزل ، الآن.

مـــارى : (تنتحب) اذن ، هذا جدى ؟ السيد يطردنى . . . بعد كل هذه السنين . . . وكل هـــذا . . . العطف ؟

كلينوف : أجل . انى خائف منك . منذ ان فقدت بصرى ، صارت أذنى حساسة الى درجة فظيعة ، وأنت تثرثرين كثيرا . الجهل الســـعيد هو التعويض الذى تدفعه السماء لعينين مغمضتين الى الأبد ! تذكرى ذلك .

الطفلة الغبية ! ايجب اذن أن أصرح أمامك بالحقيقة كى تفهمى كل ما اقاسيه من بؤس عضال ؟ أنظرى الى . انى شحاذ يتضرع أمام غنى : أعطنى من فضلاتك ! ... شهرا واحدا فقط ... شهرين ... ثلاثة ! ما قيمة ثلاثة اشهر بالنسبة لحياتك الطويلة ؟ لا تحرمينى هبة النور الذى يشـــعه وجهك على عينى . وكل يوم احيـــاه بعد الآن سيكون هدية ثمينة من قلبك اقبلها شاكرا .

الـــيز : (وقد وضعت يديها على اذنيها) اسكت ... اسكت ... أى عذاب فظيع فى أن يكون الانسان مضطرا ان يؤذى غـــيره . كفى ... لا تكلمنى هكذا ... لا تتوسل الى . لا يمكننى البقاء . أعرف ذلك ، اشعر به ... سوف لا يغفـــر لى مطلقا اذا ما حنثت بوعدى .

كلينوف : اليز ، اذا كان يحبك ، سوف يغفر لك شفقتك بانســان يتعذب . اكتبى له انك سوف تلحقين به ... بعد قليل ... بعد بضعة اشهر ...

الـــيز : كلا ، كلا ، لا اقدر . اوه ! لا تطلب منى ذلك ... يا الهى ، أعنى ... امنحنى القوة على المقاومة . جيرار ، انى انا التى أتوسل اليك ... دعنى أرحل دون ان تهددنى ! فكر كم كانت حياتى تعيسة . والآن ، ها انا امسك بين يدى أقصى سعادة يمكن

لانسان أن يحصل عليها . لا تاباها على ... كن طيبا ... كن كريما ! أحبه ... اتركنى حرة ...

كلينوف : انت لا تحبينه . ان الانسان يحب حينما يرضى الذلة ، كما انا الآن ، حينما يشعر بشفتيه تحترقان من الخجل وهو يصبح بكلمات حب مضحكة لا يرجى منها أمل ، حينما يكون الانسان على استعداد لأن يقبل الشفقة والاحتقار ممن يحب ... لا لشيء الا ليحظى بالبقاء قريبا منه . اليز ؛ انى أموت اذا ما هجرتنى ، أتسمعين ؟ أتريدين موتى ؟ نعم ، لك حق ، هذا تهديد ... اصفحى عنى ... ان عذابى هو الذى يدفعنى الى تهديدك ، الى الركوع أمامك ... الى التوسل اليك ... (يركع على ركبته) ابقى ، ياأليز . لا تهجرينى طالما تسمح عيناى برؤياك ...

اليز : (وهى تنتحب) لا أقدر ... لا أقدر ...

كلينوف : بضعة أشهر فقط ، ياأليز ... أنت مازلت صغيرة ... ابقى معى ... قولى انك تقبلين البقاء ... (اليز ترتمى على مقعد) ردى على ! أفهمت مقدار تعاستى ؟ ألم تصب كلماتى موضع الرحمة من قلبك ؟ اترحلين ، ياأليز ؟ ... أو تقدرين ... تودين البقاء ؟

اليز : (بصوت يكاد يكون غير مسموع) نعم ...

الســـيز : اوه ! جيرار ... كم هو مؤلم كل هذا ! اذن لقد أسأت اليك ... اليك أنت الذى انقذت حياتى ؟ كيف كان يخطر فى بالى ان ذلك فى الامكان ؟ أنت الذى لا تحمل فى نفسك للنساء سوى الاحتقار .. تحبنى ، أنا ، شيء لا يذكر بجانبك ؟ ما الذى يحببك فى ؟

كلينوف : هذا عجيب ، اليس كذلك ؟ انت لا تؤلفين الكتب الفلسفية ، لا تلبسين عقود اللؤلؤ الجميلة ومع ذلك يمكن للانسان أن يحبك ... يالعبتى ، أنت واحدة من أولئك النساء اللائى يحببن الرجال جميعا ، لأن فمك يشبه الفاكهة الناضجة تطلب أن تجنى ولأن عينيك منبع من منـــابع الحب والدموع (يقترب منها ويقول لها فى صوت ملؤه الاخلاص والتاثر والهيام) احبـــك ياأليز ... احبك أكثر مما يمكنك ان تتصورى . أحبك الى درجة الجنون ... ليس فى فكرى سوى غرض واحد : هو أنت . لا يحوى العالم بالنسبة لى سوى كائن واحد : هو انت . مائة مرة ، أردت أن ازيح لك الستار عن عواطفى ، لكن الكلام كان يحتبس بين شفتى ... كنت ادرك الاشمئزاز الذى تثيره فى نفسك فكرة حبى . مستحيل عليك ، بافتاتى الصغيرة ، أن تنسى دمامتى الخلقية

وان تجدى فى الرجل الذى انا هو . ومع ذلك ؛ كنت اريدك ... كنت أريد ، مرة واحـدة فى حياتى ، ان أنال ما كنت أتوق اليه دون امل طول الحياة ، ان أجعله اقرب ما يمكن الى نفسى حتى يصير وكانه جزء منى ... الشىء الوحيد الذى يمكنه أن يجعلنا نتحمل هذا العذاب الذى نسميه الحياة ، الشىء الذى تملكين كنوزه :،وهو الجمال؛ يا اليز (يتمالك نفسه ويعود الى لهجته المعتادة ، لهجة السخرية) لم لا تنفجرين بالضحك ؟ اليس فيك أقل ميل الى الهزل ؟ ها انا اشرح لك عاطفتى الملتهبة فى نفس اللحظة التى لا يشغل بالك فيها سوى الهرب مع رجل آخر . آه ! انى أحسدك . لا أحد يفهم أكثر منى شدة فرحك بهجرى ... بانك سوف لا تكونين مرغمة على رؤيتى بعـد الآن ! لو كان فى امكانى أن أتجرد من جسمى ؛ لالقيته بلذة ، كما يلقى الانسان كلبـا ميتا ، فى القمامة ..

اليز : كل هذا يسبب لى الما لا حد له . أنا اتركك لأحصل على السـعادة التى تنتظرنى بينما تبقى انت ، وحيدا ، مريضا ، وبلا امل .

كلينوف : لحسن الحظ ، هذه الحال سوف لا تدوم طويلا .

اليز : (وهى تنظر اليه) ماذا تريد أن تقول ؟

انا لا أفهم لماذا تريد السيدة بقائى ، مع انى طول الوقت أبدى عنها ملاحظات غير ودية .

اليز : لكن قلبك طيب ، ياماري . لن أنسى الرقة التى استقبلتنى بها عندما قادنى السيد الى هنا ، تعيسة بائسة .

ماري : (وقد تأثرت من بساطة اليز ، تعاود أخذ أدواتها) حسنا ... اشكرك ياسيدتى ... اذن ... قد يمكننا مرة أخرى أن نجرب قليلا ... (تخرج)

كلينوف : (بصوت رقيق) صباح الخير ، ياأليز .

اليز : صباح الخير .

كلينوف : (يقترب منها) هات يدك (اليز تمد يدها اليه ، فيقبلها) صباح الخير ، يا ألذ أفكارى ! ... الا أنتظر ضغطه خفيفة ودية من أصابعك ! لا ؟ هذا لن يكون ؟ دائما تلك اليد التى لا حياة فيها.. (يهز كتفيه ويترك يد اليز) أنمت جيدا ؟

اليز : وانت ؟

كلينوف : شكرا . كالمعتاد .

اليز : أمعنى ذلك انك نمت جيدا أم العكس ؟

كلينوف : ولم تسالينني ؟ ماذا يهمك نمت أم لم انم ؟

اليز : لقد وجهت الىّ أنت السؤال نفسه .

كلنوف : ربما كانت واحتك تهمنى أكثر ...

اليز : تعتقد ذلك ؟ ...

اليـــز : (تدخل) صباح الخير ، ياجيرار . ماذا حدث ؟ لم تبكى مارى ؟

كلينوف : مارى لا تريد أن تبقى معنا بعد الآن .

اليـــز : حقا ، يامارى ؟ وهل ذلك بسببى انا ؟

كلينوف : انها تقلقنى . فى هذا السكون الذى أراه ، تحدث ضوضاء شديدة .

اليـــز : اذن أنت الذى تريد أن تخرجها ؟

مـــارى : (بشدة) كلا . انا التى أريد أن أخرج . لقد بلغت سنا لا يسمح لى بـ ... بـ ... بأن أشتغل على هذا النحو .

اليـــز : ان هذا يؤسفنى . مادا سيفعل جيرار من غيرك ؟ انت الشخص الوحيد الذى يعرف جيدا ما هو متعود عليه . أترضين البقاء ، اذا ما سألتك انا ذلك ؟

مـــارى : اوه ! سيدى الأســـتاذ ليس كثير الطلبات ! اذا كانت السيدة يهمها حقا أن تعنى به قليلا ...

اليـــز : ارجوك أن تبقى ، يامارى ؛ سوف يأسف كثيرا على خروجك .

مـــارى : (مرتبكة) ولكن ... ولكن ... سيدى كان يقول منذ لحظة ... انى أسبب ضوضاء شديدة !

كلينوف : (هازا كتفيه) ما دامت السيدة تريد ذلك .

مـــارى : (شديدة الخجل فى مواجهة اليز) فى الحقيقة ،

كلينوف : (يتمشى برهة وهو يصفر خفيفا ، مشية بطيئة وفى حذر) أهنئك على انك لا تنسين مطلقا اقفال باب غرفة نومك بالمفتاح .

الـــيز : ولم تقول ذلك ؟

كلينوف : لأنك تجعلينني سخرية فى نظر خدمى .

الـــيز : اذن ، سوف لا أفعل ذلك بعد الآن (وهى تنظر اليه) لا سيما وان هذا لا ضرورة له .

كلينوف : اشكر لك ثقتك ... انها تغمرنى .

الـــيز : تقول ذلك بلهجة شديدة المرارة حتى أنى ...

كلينوف : حتى أنك ... ماذا ؟

الـــيز : لم يكن موضوع بحث مطلقا ، ياجيرار ... أن نكون على غير ما نحن عليه الآن .

كلينوف : (يضحك بحنق) لم يكن موضوع بحث مطلقا ... مطلقا ... وانت ، التى تذرف عيناها الدموع لدى رؤية دجاجة تذبح ، تشاهدين دون أقل اهتمام .. ما أقاسيه من عذاب .

الـــيز : ان الفاجعة التى أصابتك تسبب لى ألما شديدا . لقد اثبت ذلك .

كلينوف : أنا لا أتكلم عن هذا . أنا أتكلم عنك أنت .

الـــيز : اذا كنت أنا من يعذبك ... فلماذا اذن تريد أن أبقى ؟ ان وجودى هنا والحالة هذه لا يكون فيه نفع لأحد .

كليتوف : واقصى امانيك ان تريحينى ، اليس كذلك ؟ هذا ما يرى بوضوح حين تتجولين فى منزلى ، خرساء جامدة ... (فجاة يفقد تمالك شعوره) انك تسببين لى الجنون ... الجنون ... اصرخى ! احتدى ! اسخطى ! ... فهذا أفضل بكثير من صمتك الذى يمزق نفسى !

اليـــز : ليس عندى ما أقوله لك . لقد قلت كل شىء . انت تعرف افكارى .

كليتوف : حقيقة ، وعواطفك ايضا ! انك ترتجفين اشمئزازا لدى رؤيتى ؛ كل كلمة من كلماتى ، كل حركة من حركاتى تثير اعصابك نفورا واحتقـــارا ؛ اذا ما اخذت يدك ، تتغلبين بكل صعوبة على رغبتك فى ان تنشبى اظافرك فى لحمى ! اصابعى ، اصابع الأعمى ، تحرك كرهك ومقتك ... وانا ، فراش الليل المسكين ، ذلك الفراش الثقيل المتخبط ، الذى ظل طويلا يحوم حول نور جمالك الزاهى .. انهافت بجهل على اللهب حتى أسقط ، واحترق ، تحت قدميك (يعود الى لهجته الساخرة) آه ! اى عبارات منمقة ! ... والقاء حسن ، يستحق تشجيع النظارة . هل اصبت شيئا من النجاح ؟ هل لجمهورى ان يشرفنى برحمته على الأقل ؟

اليـــز : ان نفسى تنقبض دائما اذا ما رايت احدا يتالم .

كلينوف : كيف ؟ أحملت هذا المزاح على محمل الجد ؟ انا امنعك من الرثاء لى . احسدينى ! انى أنا السعيد. انا أنعم بخيالات بديعة ! قبح الحقائق لم يعد له تأثير على . لقد صرت شـــاعرا ، يا اليز . انى امتص بشراهة ما حولى من تأثيرات خارجية ... احزرها ... واستخرج منها خفيــة صــورا فاخرة . انت ، اراك فى كل مكان . وفى كل مكان تصحبيننى وعلى فمك ابتسامة عذبة . ألا ترين أنى ســعيد ؟ أنى أرى شــعرك الحريرى ... عينيك ، هاتين اليــاقوتتين ... بشرتك التى تشبه زهر التفاح ، تقاطيع جسمك المنحــوت كالمرمر . أنت آخر شىء حى رأته عيناى . وقد اردت أن تكونى آخر ما أراه . ان البخيل يود أن يأخذ ثروته معه الى القبر ! .. اوه ! يا احلامى الجميلة ... كم احبك ! اطردى الحقيقة . قولى لى على الأقل ان حبيبتى ليست واقفة الآن ، امامى ، عيناها تلمعان ، وخداها قد خضبهما الاحمرار وهى تفكر فيه ... الشاب الجميل ، ذو الشعر المجعد ، صنمها (يقترب منها ممسكا ذراعيها) اليز ، فيم تفكرين فى هــذه اللحظة ؟ أتفكرين فيه ؟ اتتصورينه الآن يحتضنك بشغف؟ وشفتاك قد تلاشتا فى قبلة متملة ؟

اليـــز : (وهى تتخلص منه) دعنى ياجيرار ...

كلينوف : أجيبينى ! قولى لا ، قولى انك لا تفكرين فيه ! اكذبى ... هذا لا يهمنى . ولكن قولى لا (اليز لا تجيب) لا تجيبين ؟ آه ! أيتها الصغيرة القاسية! اشكرك على صراحتك (يسير فى الغرفة ، ثم يقف فجأة هازا قبضتى يديه بهيـــاج) كلما أفكر فى غباوتى ، فى انى تركته يطأ بقدميه عتبة منزلى .. وانى لم أفطن الى ان هذا الوجه الوضاء لذلك الفنان الصغير البسيط يغوى لا محالة عقلا صغيرا كعقلك ! لماذا فعلت ذلك ؟ هذا غريب ؟ اكنت قد نسيت كل النسيان ريبتى فى النساء ؟ ... آه ! لقد عوقبت اشـــد العقاب ! انا ، انا ، كانت لى أوهام كتلاميذ المدارس ! ... عندما أفكر فى ذلك أضحك كالمعتوه : كنت اتصور أن فى امكانى أن افهمك يوما أن قيمة الرجل هى فكره ، أن جهاده منفردا أمام تلك الأمواج المتلاطمة من الحمـــاقة الانـــانية شىء جدير بالحب والمشاركة ! كنت احلم بذلك ، انا ! انها ليست غلطتك ، ايتهـــا الحيوان الصغير ، اذا ما فضلت جسم رجـــل لا ميزة فيه الا رشاقته . شابة مثلك لا تفرط فى كنوزها ... لانـــسان محطم ... لميت (يضرب رأسه بقبضتيه) ... لمدفون حى ! هاتان العينان

المينتان ، أود ان انتزعهما من حفرتيهما ... أود أن احطم على الحائط هذا الرأس التعس ! ردوا لى النور ... هذا الظلام الأبدى ... لم يعد فى طاقتى ان احتمله . اريد ان أراك ، يا اليز ... اريد ان أراك مرة أخرى ... أريد ... أريد .

(يلقى بنفسه على المقعد ، مخفيا وجهه بيديه) .

اليـــز : (تقترب منه وتربت على ذراعه لتهدئه) من المؤلم يا جيرار ، انى لا أعرف ما أقول مما يمكن ان يعزيك ... لا أجد الكلمات ... تعاستك تفوق الحد ... انى اتالم من اجلك .

كلينوف : (وهو يقبـــل ويداعب يدها) شكرا ، ياملاكى الصغير . انت رقيقة وطيبة ... دعينى أقبل يدك ! تحملى ذلك ... لحسن الحظ ، لا يمكننى ان أرى كيف ينقبض الآن فمك اشمئزازا (يترك يد اليز ، ينهض ويبقى برهة بلا حراك ، ضاغطا بيديه على عينيه) اخيرا ... هيا الى العمـــل ! اعدى الأوراق . لم أتم محاضرتى التى سألقيها اليوم . نبدأ من حيث وقفنا امس ... رسالة « اللامسئولية » ... (اليز تجلس الى المكتب لتكتب . كلينوف يملى عليها) ... « ان غرور الانسان فى تصوره انه هو نفسه المسيطر على افعاله ، هذا الغرور السخيف هو ما يقلق النفس

البشرية ويفسد منطق قوانيننا الاجتماعية . ان تركيب مخ الانسان ، وتركيب المخ فقط ، هو ما يسير دفة أفعالنا . بناء على ذلك ، لا يوجد شيء اسمه جريمة . فكرة العقاب خطأ من اساسها . لماذا لا يعاقب الرجل لانه ذو شعر أسود او اشقر ؟ العنكب الذى يمتص دم بعوضة لا يرتكب ثمة جريمة ... كل ذلك من نظم الطبيعة » .

السيز : (توقفه) محاضرة شديدة الخطر على صغار الطلبة ، فيما يبدو لى .

كلينوف : اى خطر ؟ ... ما دامت افعالنا تقررها من قبل طبيعتنا . ان كلا منا يتبع طريقه ... كذلك من ينعتونهم بالمجرمين .

السيز : (منكرة) قد يكون هذا حقا . ومع ذلك ... فمن يسيء الى غيره ولا دافع له فى ذلك سوى الانانية لا يجب أن يكون له هذا العذر ...

كلينوف : ولم لا ؟ قد يكون لهؤلاء طبيعة أقوى ، ارادة اكثر صلابة ، شهوات أشد عنفا من الآخرين ... ومن ثم يكون لهم حق اسمى !

السيز : (بشدة) من السهل عليهم ان يقولوا ذلك .

كلينوف : هذا منطقى . انه قانون الكون نفسه . كله تنازع بين الأقوى والأضعف .

الـــــيز : اذن فليس هنالك اى انصاف للضعفاء ؟

كلينوف : للضعفاء ، حينما يغلبون على أمرهم ، أن يتعزوا قليلا باعتقادهم انهم ما ضعفوا الا كرما منهـــم او شفقة ...

الـــــيز : اذن انت ترى أن الشفقة ضعف ؟

كلينوف : واى ضعف !

الـــــيز : (تقوم بعنف) ومع ذلك ، قد اسات استعمال شفقتى .

كلينوف : يجب على الاقوى ان يعرف موضع الضعف من خصمه ... حتى يتغلب عليه (مضيفا الى ذلك بسرعة) ياصغيرتى ، أنا اقول ذلك اليوم ... وغدا ، آسف عليه . غدا ، تصير الشفقة ولا شك عاطفة سماوية . اشعر ان عينيك تلمعان غيظا .. لا شك أن ذلك يجعل منظرك بديعا . وهـــذا يجردنى من القوة على معارضتك .

مـــارى : (تدخل) العربة فى انتظار سيدى .

كلينوف : حسنا ، ها أنا قادم .

مـــارى : (وهى خارجة) انا هنا لمساعدة سيدى فى النزول .

كلينوف : الى الملتقى ، ياحبيبتى الوديعه . أمامك ساعة تستريحين فيها من جلادك . الى الملتقى .

الـــــيز : الى الملتقى ، ياجيرار .

(يذهب الى الباب . لكنه يعود نحوها) .

كلينوف : ما الذى ستفعلينه الآن ؟ تبقين مكانك ضـــامة يديك ... لتفكرى فيه ؟

اليـــز : ساكتب .

كلينوف : تكتبين ؟ تكتبين ماذا ؟

اليـــز : سابيض محاضرة الأمس ، كما طلبت منى .

كلينوف : أانت واثقة انك سوف لا تكتبين خطابات ؟

اليـــز : لماذا تسالنى عن ذلك ؟

كلينوف : اى خطاب هذا الذى وضعته لك مارى ؛ بالأمس، فى صندوق البريد ؟

اليـــز : آه ! لقد اخبرتك بذلك ؟

كلينوف : لمن كان هذا الخطاب ؟

اليـــز : (رافعة رأسها) له ... هو !

كلينوف : اذن ، قد كذبت على ! فى ذلك اليوم ، عنـــدما سالتك ...

اليـــز : لقد اجبتك انه لم يكتب لى ... وهـــذه هى الحقيقة .

كلينوف : انت اذن التى تكتبين له ؟ تضرعين اليه أن يغفر لك ؟ وتشـاء مهارته الا يجيبـك ؟ فتتقـدمين انت خطوة فخطوة . تعدينه بكل شيء حتى يغفر لك.. تعدينه بانك ... اليز ، اين انت ؟ تعالى هنا ... (يقترب منها بخطواته المترددة ويمسك ذراعها

بغلظة) أوعدته برؤيتك ؟ اتنتظرينه ؟ أجيبى . اريد أن اعرف .

الـــيز : كلا .

كلينوف : ان ساعات عملى فى الجامعة تصلح جدا للمقابلات الغرامية ! اليس كذلك ؟ حذار ... سوف اعرف. انه لم يات بعد ... لكنه اذا حضر ، ســوف اشم ذلك !

الـــيز : (بقوة غير منتظرة) أنا لم اعدك قط بعدم رؤيته. أريد أن أراه ! اريد أن أفسر له لماذا ...

كلينوف : (بعنف) انى امنعك ! اتسمعين ؟ ... ما دمت فى منزلى ، فانا أمنعك من رؤيته . افهمت ؟ انت تعلمين انى لا أحجزك هنا لقد رددت لك حريتك . وأنت التى امتنعت عن الرحيل .

الـــيز : تجرؤ أن تقول انك رددت لى حريتى ؟ آه ! نعم .. مع تهديدى !

كلينوف : تركت لك حرية الاختيار . هــذا يكفى . وقد اخترت . اذا كنت آسفة ، يمكنك أن تغــيرى قرارك وقتما تشائين ... لقد قلت لك ذلك . ولكن ، طالما أنت هنا ، فانا السيد ... وحاذرى من العمل ضد ارادتى !

الـــيز : أنت تفعل كل ما يمكنك ، ياجيرار ، لكى آســف على اختيارى .

كلينوف : الى الملتقى (يخرج) .

الـــيز : (تبقى لحظة صامتة ، ثم تتجه الى الباب وتنادى) مارى ...

مـــارى : (داخلة) ماذا تريد السيدة ؟

الـــيز : مارى ، لماذا حدثت سيدك عن ... عن خطاب أمس ؟

مـــارى : (شديدة الارتباك ، لكنها تتشجع قائلة) أردت ان يعرف سيدى .

الـــيز : ولكنى كنت قد رجـــوتك ألا تخبريه بشىء ووعدتنى انت بذلك .

مـــارى : البارحة ، لم أكن قد عرفت بعد ... ان ... ان ... هذا أكثر مما يمكننى احتماله . كان من واجبى أن اقول .

الـــيز : لكم تغيرت ، يامارى ! لماذا تودين الآن أن تسيئى الى دائمـا ؟ أنت التى كنت من قبـــل أحنى ما يكون علىّ .

مـــارى : هذه حقيقة . لم أعد طيبه . انى أحسد السيدة ، وهذا هو السبب .

الـــيز : ولمـاذا ؟

مـــارى : لأن ... لأن ...

الـــيز : لأن سيدك تزوج منى ، أليس كذلك ؟

ســـارى : لا أدرى ... نعم ... قد يكون من اجل ذلك أيضـــا ...

الـــيز : (وهى تنظر اليها) أكنت ياسارى تفكرين فى ... شىء آخر !

ســـارى : ماذا تعنى سيدتى ؟

الـــيز : هل هدمت لك ... املا ؟

ســـارى : بهاتين اليدين ! ... (تظهر يديها الضـــخمتين المحمرتين) انظرى قليلا ، اظننى لائقة جدا كى اصير السيدة هنا ! أمل ! ... من ينتظر ذلك ؟ انى أقوم بواجبى وهذا كل شىء . منـــذ أمد بعيد أخذت على نفسى عهدا ألا أترك أبدا سيدى .. الرجل المسكين ! لقد رأيت اخاه الذى كان اعمى ، هو الآخر ... وكنت واثقة أن تلك المصـــيبة الرهيبة سوف تنزل يوما ما بسيدى . اذ كانت له نفس عينى أخيه ، شديدتى الاحمرار ... ونفس طريقته فى النظر وكثرة اختلاج الجفنين . كنت أتظاهر أمامه انى لا أعتقد بأن تلك المصيبة سوف تحل به ، ولكنى كنت أتوقعها طول الوقت ... الرجل العزيز المسكين .

الـــيز : كان يكون اقل تعاسة معك ، ياسارى .

ســـارى : هذا مؤكد ... من جهة العناية . كان يجب على السيدة ان تفكر فى ذلك فى الوقت المناسب .

الـــــيز : أنت تعتقدين انى كنت أرغب فى هذا الزواج ، أليس كذلك ؟ وبدهاء المرأة توصلت اليه . هذا بعيد عن الحقيقة ، يامارى . لافائدة من أن أفضى اليك بكل ما حدث ؛ اعلمى فقط انى قد دفعت الى هذا الزواج رغما عنى ، لانى ... كنت أحب آخر ... ويحبنى (وهى تتأوه) مارى ... أحبه الى درجة انى اموت الآن من الحزن ! ... وهو لم يعد يحبنى . لقد خنت عهدى ؛ هو يعتقد انى غير مخلصة وجبانة ... لأن سيدك يرغمنى على البقاء معه .

مـــــارى : يرغمك ؟ ..

الـــــيز : لا يمكننى أن افسر لك يامارى ... ولكن هذه هى الحقيقة .

مـــــارى : اذن ... هو السيد ڤيديل ؟ بما أن الخطاب ، كان له .

الـــــيز : انه لا يريد ان يحبنى . فقد خيبت امله كثيرا . كتبت له عشر مرات ... البارحة ، رجوته أن يأتى الى هنا ، يامارى !

مـــــارى : (بشدة) هنا ! ... آه ! ... هذا لا أريد مطلقا أن أعرفه !

الـــــيز : سوف لا يكون هنالك اى خطر ، بينما سيدك يلقى

محاضرته ... ليس فى امكانه أن يفاجئنا ، ما دمنا تعرف ساعات عمله ...

مـــارى : (وهى تريد أن تخرج) كلا ، كلا ، لا تقولى لى شيئا . لا اريد ان أعرف شيئا عن ذلك .

الـــيز : يجب أن تستمعى لى ... يجب عليك ذلك من أجل ... سيدك . مارى ، اذا لم يصلنى منه رد على خطابى الأخير ... اذن ، يكون معنى ذلك انى لم أعرف كيف أشرح له المى . يجب أن يفهم انى هنا سجينة ... انى أبكى ، أنى اموت ، انى طول الليل والنهار لا أفكر الا فيه .

مـــارى : (متأثرة) حقيقـــة ، ظاهـــر عليك الشحوب ، يا صغيرتى اليز ...

الـــيز : (متوسلة اليهـــا) قولى له ذلك ... قولى له ذلك ! ... اذهبى اليه لتقولى له ذلك !

مـــارى : أنا ... ؟ لكن هذا محض جنون ، ياطفلتى ! أنا ، اذهب اليه ... وسيدى ؟ اذا علم بذلك يوما ؟

الـــيز : انك تأتين بذلك حسنة ! لم أعد أحتمل ، لم أعد اطيق هذه الحياة . واذا رفضت ، يامارى ... سأذهب أنا بنفسى . ولكن ، فى هـــذه الحالة ، أختى الا أعود ثانية الى هنا .

مـــارى : (متحيرة) رباه ، يظهر ان المسألة جدية ...

الـــيز : الجرس يدق !

مـــارى : ها أنا ذاهبة لأفتح .

الـــيز : (فى شدة الاضطراب) مارى ، اذا كان هو ... راقبى من النافذة حتى اذا ...

مـــارى : (تخرج وهى تهز رأسها . تعود سريعا) انه ... انه ...

فورسبرج : (يدخل وراء مارى ؛ يدفعها الى جنب) انه أنا ! (وبرقة يمسك الباب مفتوحا لمارى) اتسمح الآنسة ... ان تتركنا وحدنا ...

مـــارى : (لاليز) أتريد سيدتى أن أبقى بالقرب منها ؟

الـــيز : (لفورسبرج ، وقد ارتسم على وجهها خيبة الأمل والخوف فى الوقت نفسه) أنت ... أنت ؟ (لمارى) كلا . يمكنك أن تذهبى .

(مارى تخرج)

فورسبرج : صباح الخير ، يابنتى العزيزة . معذرة على اقتحامى المنزل بغير استئذان ، ولكنى ، من باب الاحترام لك انت ، لم أرد أن يبقى أبوك فى الخارج كما لو كان طالب حاجة لدى صاحبة السمو .

الـــيز : أتجرؤ ... على المجىء الى هنا .

فورسبرج : يظهر ذلك . ولكن يبدو أن المفاجأة جعلت استقبالك لى أقلّ حفاوة مما كنت أنتظر بعد هذا الفراق الطويل المؤلم ...

الـــيز : ماذا تريد ؟

فورسبرج : لا شيء سوى أن أحظى بأن أقول لك صباح الخير . ثم أهنئك على الخطة البديعة التى سرت عليها . باللمرأة ! كلهن سواء ! حتى تلك التى تظهر لك وديعة كالحمل ، لها منقار ومخالب .

الـــيز : أتريد محادثتى أنا ... أم ... محادثة السيد كلينوف ؟

فورسبرج : (ينحنى أمامها باحترام زائد) ما دام زوج السيدة المحترم ليس فى المنزل ، فأكون سعيدا بمحادثة صاحبة السمو نفسها (ينظر اليها ويرجع خطوة الى الوراء) ما أبهاك ، يابنيتى ! أنا معجب بك ! لقد اكتسبت هيئة اميرة حقيقية يجرى فى عروقها دم الأمراء . صراحة ، من يدرى ... يجوز ... بفضل قلب السيدة امك الرحب ...

الـــيز : (بشدة) لا تتكلم بفـــير احترام عن أمى ... والا تركتك فى الحال .

فورسبرج : سمعا وطاعة ، ياحوريتى الصغيرة . لنقل ، كى يدخل السرور الى نفسك ، انك قد ورثت هذه الهيئة الوجيهة عنى أنا !

الـــيز : ماذا تريد منى ؟ تكلم سريعا . ان نفسى تنقبض لرؤياك .

فورسبرج : أريد مبلغا ضئيلا جدا من النقود ، اذا كان ذلك فى الامكان .

الـــيز : وجه طلبك الى السيد كلينوف ، ليس عندى ما أعطيه لك .

(تهم بالخروج)

فورسبرج : كلا ، كلا ! لا تتركينى وحدى . حذار يابنتى ! ها هى ساعة لا بأس بها مطلقا ، تساوى ثمانمائة فرنك فى السوق . وايضا بعض نسخ خاصة من كتب جيرار كلينوف . صفقة مغرية ، لو تعلمين ، لرجل جائع . اليز ، فتشى جيدا فى كيسك الصغير ، لا شك أنه توجد بعض اوراق مالية مختفية بين رسالتى غرام ! ياللشيطان ! آمل الا تكونى والهة بجمال فيلسوفك الفتان ، مجانا ؟ (بصوت رفعت فيه الكلفة) آه ! من الصغيرة الخداعة ! ... التى كانت تصرخ فزعا حينما كانت عند أبيها ! ... وعندما استقلت بنفسها ، صارت أقل أنفة .

الـــيز : (بحدة) لا تحدثنى عن الماضى . فقد لا أتمالك من أن أصفعك على وجهك . كل ما قاسيته ... كل ما لازلت اقاسيه ، هو بسببك أنت .

فورسبرج : انى فخور بأن اكون أنا الممهد لهذا الطريق البديع الذى سلكتـــه ؛ اشكرينى ، ياطفلتى ؛ عرفان الجميل عاطفـــة لا يجب مطلقا أن يخجـــل الانسان منها .

إلـــيز : اشكرك على ما أنا فيه من سعادة . ها أنا ألبس ثوبا جميلا وخواتم فى أصابعى . أنظر الى جيدا : لابد وأن السرور يلمع فى عينى ! آه ! لقد أحسنت بمجيئك الآن . ربمـا خفف عن قلبى ان أصرخ فى وجهك بكرهى لك ! تقول انى لست ابنتك ! اذا كان هذا حقا ، فانا اقدر هذا الجميل لأمى تقديرا لا حد له . ان الحسنة الوحيـدة التى أسديتها الى ، هى انك جعلتهـــا هى الأخرى تكرهك . انا أرثى لأخى المسكين الذى لا مفر له من تحمل أحاديثك الجميلة . سوف تنتقـــل العدوى منـك اليه . يوما ما ، عنـــدما كنت صغيرة ، رأيت حشرة تزحف تحت أوراق الشجر ... كانت تترك أثرا طويلا لزجا وراءها . كلما أراك ، أفكر فى هذه الحشرة . فلا شك انك تلوث كل من يحتك بك . افسدت نفسيتى بأن جعلتنى اكرهك ... لقد رايتك تضرب أمى لانها اعطتنى قطعة من الكعك . وانا الآن ، اذا رايتك تعـانى أقسى الملمـــات ... لن أمد يدى لمعـــونتك (فورسبرج وكان قد جلس بالقرب من المنضدة ، يبقى مكانه دون ان يبدى حركة ، ورأسه بين يديه) لماذا لا تجيبنى بشىء ؟ لماذا لا تمطرنى بوابل من شتائمك الوقحة الفظيعة ؟ أمن الممكن ...

انك انت تخفض بصرك ؟ لقد فهمت . أنت الآن في حاجة الى نقود ... ولذا ، يهمك ان تظهر الندم كي ترفق قلبي .

فورسبرج : (يقوم ببطء) الوداع ، ياأليز .

أليز : أنت راحل ؟ قد قدرت اذن انك لن تحصل على شيء ؟

فورسبرج : يكفيني ما حصلت عليه : الحقيقة (يذهب نحو الباب ، لكنه يقف) ومع ذلك ، فقبل رحيلي ، سأقص عليك خبرا يسرك . أعترف لك ، وصوتي يختنق بالدموع ، اني لم أعد أملك شيئا . قرى عينا ! فاخوك العزيز قد راى من الأفضل الفرار الى امريكا آخذا معه كل ما كنت قد ادخرت من نقود . الخزانة الصغيرة التي كنت قد وجدتها يوما في المدفأة ، تذكرين ؟ ... عرف كيف يزعجها من مرقدها تحت مرتبتي . وداعا ، يا نقودي الجميلة ! ... أنت الآن تتيخترين بعظمة فوق امواج المحيط ! ماذا كنت تقولين لي منذ لحظة ؟ ... اني أترك أثرا لزجا سيئا ... حقيقة ! مسكين هذا الصبي ، لا ريب أنه سوف لا يكون عظيما ... كما كنت أحلم (سكون . أليز لا تجيب بشيء) أشكرك على شفقتك به ؛ أما اني لم أتناول طعاما منذ أمس ، فهذا لا أهمية له ؛

وينبغى الا يفسد شهيتك . انى اتعود كل شيء . منذ هذا الصباح ، مضغت قطعة من الصمغ حولها خيالى الخصب الى طعام ناضج شهى ! فانت ترين أن ليس الجوع ما يشقينى ! لكن هناك شيء آخر ... اخوك . اعينينى على انتشاله من وهدة السقوط الأدبى ! اعرف الباخرة التى اخذها وسوف يمكننى سريعا أن أعثر على الباب المعجب بنفسه الذى صحب معطفى الذى لم ألبسه بعد ليريه العالم الجديد . اذا ما وطئت قدماى أرض أمريكا ؛ سوف أتكسب فى طرفة عين ... شيالا ، عتالا ، ماسح أحذية ... ارضى بكل شيء ؛ انا لا آنف من شيء ، كما تعلمين ... يمكننى بواسطته ان اجمع الذهب لهذا الصغير . ولكن هناك اجرة السفر وهى باهظة . وليس معى درهم واحد . ولسوء الحظ ، لم يمض سوى يومين على مقابلتى لفيلسوفك الكريم وقد نفحنى المبلغ الذى يراه مناسبا لحماد العزيز . وهو ، ثقة منه بذوقى السليم الأصيل ، لا ينتظر زيارتى الا مرة على الاكثر فى كل شهر . من هذا يظهر لك أن الأمور تسير على اسوأ ما يمكن ... (البز تبقى صامتة لا تجيب بشيء) على الأقل ، أجيبينى بشيء ! من المتعب أن يلقى الانسان هذه المحاضرة الطويلة دون مقاطعة .

السيز : لا أريد أن اساعدك .

فورسبرج : اود ! انا لم أشر أقل اشارة الى ذلك . على كل حال ... اذا فعلت ، فسوف لا يكون ذلك من أجلى انا ! وانما تذكرى الفائدة العظيمة التى ستحصلين انت عليها بأن تتخلصى منى الى الابد . امنحينى ثمن تذكرة لهذه الرحلة البعيدة . ليس من الضرورى أن أسافر فى « قمرة فاخرة » ، يكفينى ركن رطب فى عربة الحيوانات . يالهى .. هذا ليس عسيرا ! سوف تجدين بلا شك فى محفظتك الصغيرة مبلغا كان فى نيتك أن تشترى به قبعة جديدة . اقذفى به فى وجهى ... قائلة لا أود أن اراك بعد الآن ! (يتأوه بعمق ، ثم يقول بصوت ملؤه التضرع :) اعطنى شيئا ، ياأليز ، مهما كان ضئيلا !

(اليز تبقى مترددة برهة ، ثم تدخل الى غرفة نومها ، تاركة وراءها الباب مفتوحا . فورسبرج بعد رفيته لها من خلال فتحة الباب ماذا تفعل .)

اليز : (تعود . تعطيه كيس نقودها) خذ .

فورسبرج : (يفتح الكيس بجشع) أشكرك من كل قلبى ، ياطفلتى المعبودة . لحسن الحظ ، أنا واثق بانك لن تخرجى ورأسك عارية ... (بعد النقود) ياللسماء ! ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ ، ٥٠٠ ، ٨٠٠ ،

١٠٠٠ و ١٠ ، ٢٠ ، ٢٤ « كورون » نقول ونكتب الف ومائة واربعة وستين « كورون » ! انى ثمل من الفرح ! انت جوهرة الفتيات ! ... الف ومائة واربعـــة وستون ... هذا كثير لا شـــك انه سيحزننى صرف هذا المبلغ . اليز ، أنا مقـدر لجميلك تقديرا لا حد له .

اليـــز : لا تشكرنى ، واذهب من هنا ، سريعا . لا تظن أن كرهى لك قد خف فدفعنى ذلك الى اعطائك هذه النقود . اذا كنت قد ساعدتك ، فذلك لأنه ، بالرغم من كل شيء ، قد يؤرق ليلى ، ان اعرف انك لاتجد ما تسد به رمقك . انى أحتقر نفسى على هذا الضعف . الآن وقد عرفت فى هـذا الضعف ، أسيء استعماله . ليس على الانسان الا أن يشكو ويتظاهر بالبؤس ... وفى الحال ، أضعف امام ما فى نفسى من شفقة سخية (يسمع الجرس . ترتعد بعصبية) الجرس يدق ! هيا اذهب ، سريعا ! لقد أخذت ما تريد ، ماذا تنتظر ؟

فورسبرج : (ينظر اليها) ما بال سحنتك قد تغيرت فجأة . يظهر انك تنتظرين أحدا ... آه ! يحمر وجهها ، تضغط بيدها على قلبها الذى يدق ...

اليـــز : اذهب من عنا !

فورسبرج : الزوج فى عمله ... والزوجة مع عشيقها ! أنا

لا أحب هذا ، انه شيء معتاد ومألوف جدا غير خليق بابنتي . ليس فيه اى طرافة .

اليـــز : نعم ، بكل تأكيد ، انه عشيقي ! وبعده ، سيأتي دور عشيق آخر . هذا لا يمكن ان يدهشك ، بعد التربية التي ربيتني عليها . والآن وقد اشبعت فضولك ، هيا أخرج من هنا .

فورسبرج : لقد كنت دائما ميالة الى التراجيديا العالية ... لكن ذلك ، ياطفلتي ، ليس من ورائه نفع . قلت لك مائة مرة : تمتعي بالحياة . انتزعي منها كل سعادة ممكنة ! خذي الحياة من جانبها المرح ! ان المزعجات تأتي سريعا . يسرني الآن ان اراك قد استمعت لنصحي . تهانئي الخالصة لعشيقك . الى الملتقى ، يابنتي .

(يمد اليها يده . اليز لا تمد يدها اليه .)

اليـــز : الوداع .

فورسبرج : هيا ... هات يدك ، ياأليز ! ... اذا ما غرقت في هذه الرحلة ، سوف تنـدمين مع ذلك على أنك ...

اليـــز : (تتـمع بعصبية واضعة يديهـا وراء ظهرها) اخرج من أمامي ...

فورسبرج : (يبقى مـــادا يده) اجـــادة أنت ؟ ألا تريدين مصافحتي ؟

اليـــز : كلا .

فورسبرج : (يهز كتفيه ؛ يذهب نحو الباب ثم يعود) وهكذا، قد نجحت فى الانتقام لنفسك ... قليلا ... (يخرج) .

اليـــز : (تجرى الى الباب الآخر وتنادى) مارى !

مـــارى : (تدخل) سيدتى ...

اليـــز : من الذى دق الجرس ؟

مـــارى : (همسا) السيد فيديل .

اليـــز : ولم لم تخبرينى فى الحال ؟ أين هو ؟ أين هو ؟

مـــارى : لم يكن فى استطاعتى مع ذلك أن أدخله طالما هذا الرجل هنا ! قلت له ان ينتظر برهة .

اليـــز : اسرعى اذن لادخاله .

مـــارى : (وهى تهز راسها) مهلا ، مهلا ! ...

(تخـرج)

فيـــديل : (يدخل فى الحال) صباح الخير ، ياليز .

اليـــز : (تجرى نحوه ؛ مادة ذراعيها) اريك (ولدى رؤية وجهه المتجهم ، تقف ، وبحركة يأس تدع ذراعيها يسقطان) أشكرك على مجيئك ...

فيـــديل : اقرا فى وجهك ، ياليز ، أنك قد أمضيت ساعات شديدة الكآبة .

اليـــز : ينبغى الا يدهشك هذا .

فيـــديل : أنا لا ألومك على شىء . لقد كانت غلطتى .

اليـــز : غلطتك ؟

فيـــديل : نعم . كان يجب أن أرجع لاصحبك معى بالقوة . كان على أن أدرك أنك كنت فى حاجة الى معونتى . لسوء الحظ حين تصدمنى خيبة أمل شديدة او يتملكنى غضب شديد ، أتصرف دائما بعكس ما تمليه عاطفتى . ثم اندم ، بعد ذلك . آه ! لقد ندمت كثيرا !

اليـــز : لماذا لم تجب على رسائلى ؟ اذا كنت تدرك العذاب الذى أنا فيه ...

فيـــديل : لقد فهمت كل شىء . كنت أتوقعه من قبل . وقد وضحته لك . انه يحبك ، وبكل وسيلة ، يريد ان يبقيك أسيرة عنده .

اليـــز : الآن ، صار أعمى ...

فيـــديل : (هازا كتفيه) تهجرين أعمى ! ... هذا كثير . سلاحه الآن أقوى .

اليـــز : لماذا لم تجب على رسائلى ؟

فيـــديل : كنت أريد أن ارغمك على الحضور انت بنفسك .

اليـــز : لو اتتنى كلمة واحدة منك ، لحضرت اليك .. لا لشىء سوى أن أراك ... أن أتوسل اليك أن تغفر لى . ولكنى لم أجرؤ ، كان صمتك يخيفنى (تطوق بذراعيها رقبة اريك) اريك ... لقد سببت لى عذابا شديدا !

فيـــديل : (يعانقها بحزن) وانا ، ياأليز ! كل يوم ، كنت انتظرك ... كل يوم ، كنت أضع زهورا فى الغرفة التى أعددتها لك . وفى النهاية فقدت كل أمل ، ياأليز . قلت لنفسى ، لابد أنه بطريقة ما يرغمك بوحشية على البقاء أسيرة عنده وانه لا يمكنك التحرر ... دون معونتى . لهذا جئت اليوم ، ياأليز ، لأساعدك مرة أخرى ... أو لأودعك الى الأبد !

أليـــز : (مرتعبة) لتودعنى ؟

فيـــديل : أجل . لم يعد فى استطاعتى البقاء فى هذا البلد .. قريب منك وبعيد عنك . كل يوم ، هذا الأمل وهذا اليأس ... لقد أعجزنى ذلك حتى عن مباشرة عملى . كلا ، كلا ! اليز ، أسالك لآخر مرة : اتريدين الرحيل معى ؟

أليـــز : (تسير فى الغرفة ، متأوهة ، تفرك يديها بيأس) يا الهى ... يا الهى ... أعنى ! لا أجرؤ ... لا أجرؤ على فعل ذلك .

فيـــديل : اليز ، انى لا أفهم ! ما الذى يجعلك ترتجفين هلعا صائحة انك لا تجرؤين ؟ كل كائن على سطح الأرض عليه أن يهتم بصالحه . لا أحد يضحى بنفسه من أجلك ، ياصديقتى .

أليـــز : فى اللحظة التى أبرح فيها منزله ، سيقتل نفسه .

فيـــديل : آه ! هو هذا ! كان يجب أن أدرك ذلك . انه ماهر

جدا ولاشك ! يعرف بأى شبح رهيب كيف يخيف انسانا ضعيفا .

اليـــز : أريك ، هو صادق فى تصميمه . انا واثقـة من ذلك ! حياته ، حياة الأعمى الفظيعة ... لقد حدث مرة ، فعلا ، انى خطفت المسدس من يده.. كان ذلك يوم أطفىء فى عينيه آخر شـــعاع من النور . سألنى ما اذا كنت أرغب فى حريتى على الشروط التى كان قد وعدنى بها .

فيـــديل : أى دناءة ! ... فى أن يقيد امراه بهذا التهديد الفظيع ! تأكدى : ان من يتكلم كثيرا عن الانتحار لا يقدم عليه ! ... اليز ، ليس هناك اقل خطر . تعالى معى !

اليـــز : واذا اقدم بالفعل ...

فيـــديل : ليكن ، وهل انت مسئولة ؟ أى جنون ! أليس هو القائل بان الانسان غير مسئول عن أفعـاله هو نفسـه ... الاولى ألا يكون مسئولا عن افعال غـــيره ؟

اليـــز : (بعد برهة) اريك ، هناك شىء لا تعرفه ، شىء رهيب ... كنت لا أود ان أصرح لك به ... انى أشعر ، بالرغم منى ، بأفكار شريرة ... بينما أعمل كل ما يمكننى كى امنعه من ... من قتل نفسه ... فأنا أكاد أتمنى ... أن يفعل ذلك .

فيـــديل : آه ، ياصغيرتى المسكينة ، لقـد قلت لك : أنت فى نضال مع رجل أقوى منك بكثير . انه يشل تفكيرك ، يضلل قلبك .

اليـــز : نعم ، تنطق بالحقيقة . هو أقوى منى . انه يتحمل بنفس مطمئنة ما يسببه لى من أذى !

فيـــديل : اليز ، هيا معى ، لقد حان الوقت ! أتوسل اليك ، تعالى فى الحال ، دون أن تريه .

اليـــز : كلا ، هذا جبن . وسيكون فظيعا جدا على نفسى أن أعلم أنه انتحر .

فيـــديل : اليز ، هذه الحياة الموت افضل لك منها ... سجينة هنا معه ، مراقبة ، مهددة ... دون أن يكون فى طاقتى أن أعينك فى هذه الحياة المرعبة.. انا الذى يحبك ... أنا الذى تحبينـــه ! كلا ، والف كلا ، هذا جنون ، هذا مخالف للطبيعة !

اليـــز : (ترتمى على المقعد وهى تنحب) أوه ! لا تزد .. هذا كثير ... هذا كثير ! ... فوق ما أحتمل .

فيـــديل : (يمرر يده برقة على شـــعرها) لاتبك ... لا تبك ...

اليـــز : اراك ترحل ... دون أن أجرؤ على اللحاق بك .

فيـــديل : (محاولا ان يحتفظ بهدوئه رغم يأسه) اذن قد تقرر ... أنت لا تريدين ؟

اليـــز : أنا أدرك ذلك ... لانى أعرف نفسى ... هذا فوق طاقتى .

فيـــديل : اذن ... لا أريد ان استمر فى تعذيبك بعـــد الآن ... فى تعذيبنا نحن الاثنين . مادمت قد قررت ... الافضل أن أرحـــل انا . الوداع ، ياأليز (يتردد ، مؤملا دائما أن يراها تغير رايها ، لكنها تبقى ساكنة . يقترب منها ويقبل رقبتها . يدير رأسها ناحيته . يضمها الى صدره ضـــمة يأس) تعالى معى ! أحبك ... ساجعلك تنسين ..

اليـــز : (باكية) لا أجرؤ .

(فيديل يتركها فجاة ويخرج)

اليـــز : (تبقى برهة وهى لا تكاد تعى ما حولهـــا ، ثم تجرى الى الباب) اريك ... ! (تخرج الى مدخل الشقة ، ويسمع صوتها تنـــادى) أريك ... اريك ... ! (الا انه يكون قد رحل . فتعود وتلقى بنفسها على المقعد باكية) .

مـــارى : (تدخل . ترى اليز باكية . تتنهد عازة راسها ثم تاخذ اليز برفق من ذراعها) سيدتى ... صغيرتى اليز ... السيد قد اتى . قد رايت العربة من النـــافذة ... كفى ، كفى ؛ لاتبك هكذا ! سينتهى كل ذلك . أوه ! هؤلاء الرجال ! صدقينى انهم لا يستحقون (اليز تستمر فى البكاء) هيا ... هدئى روعك ... استحلفك ! حتى

لا يلحظ سيدى شيئا ! ها هو ! جففى دموعك . سأذهب لمساعدته .

(تخرج الى مدخل الشقة تاركة الباب مفتوحا . يرى كلينوف آنيا . البر تقوم من المقعد ، محاولة ان تتمالك نفسها .)

كلينوف : (يدخل) صباح الخير (اليز لا تجيب) اليز ، اين أنت ؟

اليز : هنا .

كلينوف : لماذا لا تأتين لرد تحيتى ؟

اليز : (تذهب اليه) صباح الخير .

كلينوف : لماذا لا تمدين يدك الى ؟ (اليز تمد اليه يدها) ما بك ؟ يدك باردة ... ترتجف ! (يربت على خدها) وخدك ملتهب ... ماذا حدث ؟ (اليز لا تجيب) أجيبى ! ... حضر أحد الى هنا فى غيابى ؟

اليز : (تاركة كل معارضة) نعم .

كلينوف : من الذى حضر ؟ (اليز لا تجيب) من ؟ من ؟

اليز : هو .

كلينوف : آه ! أهنئك . لقد تقدمت . فانت الآن لم تعودى تحملين نفسك مشقة اخفاء كذبك .

اليز : انا لم اكذب عليك .

كلينوف : (بشدة) قلت لى انك ما كنت تنتظرينه .

اليـــز : لم اكن أتوقع حضوره .

كلينوف : ومع ذلك ، ربما كان عندك أمل ضعيف ؟ حسنا . وبعد ؟ ماذا قال لك حتى جعلك فى مثل هـذه الحـــالة ؟

اليـــز : انه راحل .

كلينوف : آه ! ... راحل ! بعيدا ، بعيدا عن هنا ، لينسى حبه ... وليشعل حبك أنت ، على ما اظن ؟ وزوجتى الصغيرة الجميلة كانت تود لو أتيح لها الرحيل معه ؟ لا باس ... ارحلى . تعلمين ، انك حرة .

اليـــز : نعم . ولكنى أعرف الثمن .

كلينوف : فى سبيل الحب ... كل شىء رخيص .

اليـــز : هذا هو رأيك ؟

كلينوف : بالضبط .

اليـــز : (وهى تنظر اليه) أنت تقول ذلك ؟ ... فى سبيل الحب ، كل شىء رخيص ؟ ... أنت ، الذى بفضل تهـديدك ، تغرق بينى وبين الرجـــل الذى احب !

كلينوف : أنت لا تحبينه .

اليـــز : انا لا احبه ؟ ...

كلينوف : كلا ... وقد قدمت لى الاثبات على ذلك ... ما دمت قد بقيت عندى ومازلت باقية .

اليـــز : (وهى تنتفض من الغضب) بهـــذا اذن تفسر تصرفى ! لا يجب ان يدهشنى ذلك . أنت الذى تحمل بنفس راضية ما تسببه لى من عذاب ، كيف تفهم الضعف الذى يبعثه فى نفسى شفقتى عليك ؟

كلينوف : آه ! أيتها المخلوقة النبيلة التى تضحى بنفسها من اجل الشفقة . خطأ وضلال . لا محل للشفقة هنا . لقد نجحت فى تمزيق الحجاب الذى كانت روحك مدثرة به . لقد جعلتك تلمحين ما هو اقوى ما فى العالم : الرغبة الشديدة ؛ تلك التى لا تخشى شيئا ، لا تقف أمام شىء ؛ تتابع طريقها حتى الموت . انبئى أن حبك اقـــوى من حبى ... وحينئذ يكون لك الحق أن تهجرينى . لكنك مازلت هنا ، هنا أمامى .. اليوم أيضا لم تجرؤى على اتباع رغبتك . قدرى ذلك جيدا انت بنفسك .

اليـــز : يا الهى ... يا الهى ... لست الا كائنا بشريا ! اذا كنت تنكر حبى ... اذن ... اذن ... لم يعد فى استطاعتى ... ليثبت الانسان أنه يحب ، يجب ان يكون قادرا على ايذاء غيره ؟ حسنا ، ساحدو حذوك ! سوف لا أهتم بشىء سوى ... سأدفع الثمن . ولا تنس انك انت نفسك قد دفعت بى الى هذا العزم .

كلينوف : ليكن ما تريدين . اذا كنت فجأة تعتقدين انك تحبين حبا عميقا يجعلك تتحملين العاقبة ، التى كانت حتى الآن تخيفك ، اذن فانا ارضخ .

اليز : وسانفذ عزمى فى الحال ! وداعا ياجيرار . آسف على ايلامى لك .. ولكن ، ما دام ذلك ضروريا .. فانا ادفع الثمن . الوداع .

(تذهب نحو الباب)

كلينوف : (يسرع اليها ليوقفها) انتظرى . ياأليز . لقد وعدتك وما زلت عند كلمتى . ولكن عليك أن تنتظرى دقيقة واحدة ! باق اجراء بسيط لم يستوف بعد . انتظرى !

اليز : (عند الباب ، تستدير ملتفتة اليه) اجراء ؟

كلينوف : تذكرى ما قلته : « سوف لا ينالك ، ما دمت حيا ! » اذن ينقصنا حل هذه المسألة الصغيرة ..

(يخرج مسدسا من درج مكتبه)

اليز : (شاحبة) جيرار ... ماذا تريد أن تفعل ؟ ...

كلينوف : ولكنك تعرفين جيدا ... برهة قصيرة جدا كريهة لك ... وبعد ذلك ، يأتى السرور وتأتى النشوة . لا أسألك سوى شىء واحد : أعيدى على سمعى أن عزمك ثابت . لا يجب فيما بعد ، أن تلوميني بينك وبين نفسك على تسرعى فى هذه اللحظة . اما زلت مصممة ؟ ... قولى نعم ... وأقسم لك انى لا أتردد . حسنا ... ها انا

أنتظر ! اجيبى . كيف ؟ ... أنت التى تحبين الى هذه الدرجة ، تترددين ؟ (اليز تبقى بالقرب من الباب ، شاحبة ، ساكنة ، عيناها مغمضتان وشفتاها مضمومتان . كلينوف يهز كتفيه) الا تريدين أن تجيبى ؟ حسنا . قد يكون فى طلبى ما يبهظك ... ساجعل واجبك اخف حملا : لا تمنعينى من قتل نفسى ! الوداع ، ياأليز . لا احسدك على سعادتك ... سوف لا أشعر بها . بعد دقيقة . تصيرين حرة .

(يفتح باب غرفته ليدخل اليها)

اليز : (تسرع اليه ، مذعورة ، وتمسك المسدس من يده) لا ... لا ... اعطنى المسدس ...

كلينوف : (وهو لا يريد ان يترك المسدس) احترسى ...

اليز : (منازعة اياه) اعطه لى ... اعطه لى ...

كلينوف : (تاركا المسدس) ولكن احترسى ، ياأليز ... قد تخرج منه طلقة ! ...

اليز : لقد ادركت الآن ... انه محال ان أتركك (متاوهه) ساظل مقيدة ... ساظل مقيدة ...

كلينوف : (صائحا) ... مقيدة بحبى ، ياأليز ! ادركى قوته ... ساظل عالقا بهذه الحياة المريرة ، سأحتمل الحياة كحطام بشرى تعس ، لابقى الى جانبك ، لاسمع نغمة صوتك ...

اليـــز : نعم ، قد ادركت قوتك ، أيها الأنانى القاسى . تسمى هذا حبا ؟ سلبى سعادتى ... تهديدى .. تعذيبى ... لقد كان على حق ... حياة مثل هذه ... الموت أفضل منها .

كلينوف : (ينتابه شىء من القلق فجأة ، يفتش منها) أين المسدس ؟ اعطه لى ...

اليـــز : خذه من يدى ...

(تدير ظهرها اليه . تخطو بسرعة بضع خطوات نحو صدر الغرفة . تنحنى الى الامام وتضغط زناد المسدس موجهة فوهته الى قلبها . تسمع طلقة مكتومة وتسقط مبتة ، ووجها الى الارض)

كلينوف : (صارخا) اليز ... اليز ... أجيبى ! (يسير متخبطا فى منتصف للمنور عليها ، يجثو على ركبته بالقرب من جثتها ينبعث منه صراخ كالعواء) اليز ! لا ، لست ميتة ... لا ، لا ، هذا لا يمكن أن يكون حقيقة ... (يرتمى عليها) ميتة ! لا . لا ... حبيبتى ... احبك ... احبك ... (يصمت برهة ، ثم يدمدم بجنون :) هى لى ... حصلت عليها ... لقد ضحى الجمال بنفسه من أجلى ... أيها القدر ... قد عفوت عنك .

ســـتار